محمود شبيب



حكايات تأريخية عراقية



تجسس . حرب . سياسة

منشورات دار الثقافة بغداد ١٩٨٣

محمود شبيب

حكايات تأريخية عراقية

تجسس ... حرب ... سياسة

شركة التايمس للطبع والنشر - شركة مساهمة
شارع الرشيد - السنك - بغداد هاتف ٨٨٨١٩٠٢





الـــى

فــؤاد عبــاس

الانسان الفاضــل ، الصديق الصدوق ، الراحــل قبـــل
الأوان ، التارك في قلـوب محبيـه ، ومـا اكثرهــم ، غصـة
ـــن تـــزول ٠

مقدمـــــة

يتفق اصحاب الاختصاص والمهتمون بقضايا العراق على ان الجوانب الخفية من تاريخ بلادنا الحديث ، ناهيك عـن الوسـط والبعيد ، تفوق الاخرى المعروفة بقدر كبير • ولعل هذه الحقيقـة احد العوامل التي دفعت بي الى محاولة كشف المستور من هـذا التاريخ قدر استطاعتي عملا بالآية الكريمة : «ما يكلف الله نفسا الا وسعها •

وبالفعل ، فقد صدرت لي ، لحد الآن ، اربعة كتب هي :

١ ـ محمود سلمان ... طريق المجد الى ارجوحة الابطال .

٢ ـ اسرار عراقية في وثائق انكليزية وعربية والمانية ١٩١٨ ـ ١٩٤١ .

٣ ـ جوانب مثيرة من تاريخ العراق المعاصر ١٩١٤ ـ ١٩٢١ .

٤ ـ صفحات مطوية من امس العراق والعرب ١٩٣٦ ـ ١٩٤٢ .

هذا عدا عن ظهور عشرات البحوث والملفات في مجلات «آفاق عربية» و «آفاق جامعية» الصادرة عن جامعة السليمانية و «الجامعة» عن جامعة الموصل و «صوت الجامعة» في البصرة و «التربية» في قطر و «العرب» في الرياض ومجلة «رأس الخيمة» و «الف باء» ... الخ .

والآن يسعدني أن اقدم للقارىء العراقي والعربي ، وانا المدين له بالشكر الجزيل والعرفان بالجميل على اقدامه على ابتياع كتبي السابقة حتى اوشكت نسخها على النفاذ ان لم تكن قد نفدت بالفعل ، انتاجي الخامس الذي ارجو له ان ينال مثل حظ سابقاته من الرضا والقبول .

وبهذه المناسبة ، اجد نفسي ملزما بالتعبير عن التقدير لجميع موظفي مكتبة جامعة بغداد المركزية والمكتبة الوطنية الذين يتنافسون ، دون تردد ، على تقديم المعونة لرواد صرحيهما الثقافيين غير آبهين بأي عناء او تعب من اجل جعل منهل المعرفة سهل المنال امام الذين نذروا انفسهم للبحث والاستقصاء .

محمود شبيب

الحكايـة الأولى
مـن خفـايا الجاسوسية الانكليزيـة

في خضم معركة «سلمان باك» التي جرت بـين التـرك والانكلز اواخر تشرين الثاني ١٩١٥ ، وصلت البرقية التالية مـن «نور الدين بك» القائد العام للقوات العثمانية في العـراق الـى «حسام الدين نظمي بك» رئيس مصلحة مقاومة الجاسوسـية الانكليزية في بغداد وهي تقول بالشفرة : «ان امورا مريبة تجري في مقر الفيلق الثالث[1] فان التعليمات التي ارسلتها الى قيـادة الفيلق الثالث عن تراجع قواتنا الى ـ سلمان باك ـ وتعليمـات الدفاع الواجب اتخاذها لحماية بغداد قد وصلت الى الانكليز .

---

١ ـ الفيلق مؤلف من فرقتين او اكثر .

«وان الافادة التي ادلى بها احد ضباط الانكليز الاسرى وهو من امسكنا به في جوار ـ سلمان باك ـ دلتنا على ان الانكليز كانوا عارفين بخطط الدفاع التي اتخذناها ، ولما كانت هذه المعلومات سرية للغاية وليس في وسع ان يطلع عليها الا من الفيلق الثالث نفسه او من الاركان الحربية لهذا اعتقد ان الموقف بات كثير الخطورة وان من الواجب معرفة ذلك الخائن الذي اتصل بجواسيس الإنكليز وأفشى لهم هذه الاسرار..»



نور الدين بك

ينفق عن سعة

وقف «حسام الدين بك» حائرا امام هذه المذكرة التي ارسلها اليه القائد العام • وفيما كان هذا الضابط يتخبط تجاه ما يجب عليه اتباعه من التدابير لحل المشكلة دخل عليه احد الجنود يقول :



حسام الدين نظمي

ـ مولاي في الباب جندي يرغب في المثول بين ايديكم •
ـ الم تقل له انني مشغول ؟
ـ بلى ، ولكنه قال ان لديه معلومات على جانب كبير من الخطورة يريد عرضها عليكم •
ـ وما اسمه ؟
ـ عبدالرسول هادي •
وما كاد «حسام الدين» يسمع بهذا الاسم حتى هب من مقعده وقال :
ـ ليدخل ••• ليدخل •••

وعبدالرسول احمد هادي هو ثاني الفدائيين اللذين اوفدهما «انور باشا»(٢) لاغتيال قاضي البصرة وذلك لتأييده الاحتلال الانكليزي للمدينة وقد قتلاه فعلا في بغداد مساء ١٤ كانون الثاني ، ١٩١٥ ، بعد أن تركا على سريره رقعة كتب عليها : «هذا جزاء من يسلم البلاد الى العدو •»
وحسام الدين نظمي بك الذي كان مطلعا على هذه الامور ما كان ليدور في خلده ان عبدالرسول لايزال في بغداد • ولهذا دهش عندما علم انه هو الذي اتى لمقابلته فاستقبله بكل حفاوة وسأله عن اموره فقال :
ـ بعد تلك العملية التي قمنا بتنفيذها ، ارسلنا الى الجبهة وقد اشتركنا ، انا ورفيقي يوسف الموصلي ، في المعارك الحربية ، وبعد سقوط الناصرية جرحت ورفيقي يوسف ونقلنا الى بغداد ،

٢ ـ وزير الحربية العثمانية •

ولقد اصبحت الان ضابطا احتياطيا ولذا ادخلت الى مستشفى الضباط ووفيه تعرفت باليوز باشي[٣] شوكت بك ، من ضباط اركان الحرب ، وكان قد اصيب بجروح في فخذه اثناء معركة «الكوت»[٤] .

وقد رابني أمر هذا الضابط لانه ينفق عن سعة في المستشفى وانا اعرفه منذ كان في «ازمير»[٥] فقير الحال ذا عائلة كبيرة ، ثم لانني رأيت رجلا غريبا يتردد عليه وقد شاهدت هذا الرجل بعد مراقبتي له يتردد كذلك على احدى الراقصات .



خليل باشا

---

٣ ـ نقيب .
٤ ـ المقصود المعركة التي ادت الى سقوط البلدة بأيدي الانكليز وليس التي اسفرت عن سقوطها بأيدي الترك عام ١٩١٦ .
٥ ـ ميناء تركي على البحر الابيض المتوسط .

فاجاب حسام الدين بك :

ـ وما وجه الغرابة في مثل هذه الامور ؟

ـ انني عندما ارتبت في هذه الامور ناديت رفيقي يوسف وارسلته لمراقبة الرجل الغريب فعاد الي يقول :ـ

ـ راقبت الشاب بعد خروجه من المستشفى فرأيته يذهب الى محلة «الكرادة» حيث قرع باب منزل قائم هناك وصعد اليه • ولكنه لم يمكث فيه اكثر من عشر دقائق فخرج وتوجه ، هذه المرة ، الى النادي العسكري[6] ولكنه لم يدخله وانما ظل عند بابه الى الساعة التاسعة مساء حيث خرج اليه احد الضباط فسارا وسارا متجهين الى «الميدان»[7] وقبل ان يصلا اليه افترقا •

وتابع الشاب سيره قاطعا جسر بغداد العتيق[8] الى جانب الكرخ ، وهناك دخل مربعا[9] جلس فيه وحده وعند منتصف الليل جاءت اليه احدى الراقصات ومكثت معه مقدار نصف ساعة •

وكانت الساعة قد بلغت الاولى بعد منتصف الليل عندما انصرفت الراقصة فلحق بها الشاب، وكانت هناك عربة بانتظارهما فنظرت اليها فاذا فيها الضابط نفسه الذي كان برفقة الشاب بعد الغروب • فاستدعيت عربة ثانية والتحقت بهم فاذا بهم يتوجهون

---

٦ ـ على نهر دجلة ، جنوب وزارة الدفاع •

٧ ـ نفس ساحة الميدان الموجودة في جانب «الرصافة» •

٨ ـ جسر القوارب التي كان قائما محل جسر الشهداء الحالي •

٩ ـ ملهـى •



سلمان باك حيث جرت المعركة الاولى

الى الدار الواقعة في الكرادة فمكثوا فيها نصف ساعة وتفرقوا ، فتوجه الضابط الى منزله والفتاة الى غرفتها في الفندق والشاب عاد ايضا الى هذا المنزل نفسه .

وقد تبين لي من افادة يوسف الموصلي ان في المنزل رجلا يدعى الشيخ عبدالله والضابط هو الملازم الاول اورخان افندي والراقصة هي منيرة خاندان الملقبة (كلنهار هانم) وهي امرأة اصلها من سلانيك[10] .



الراقصة كلنهار

---

١٠ ـ مدينة عثمانية كبيرة سابقا ويونانية الان .

كفانـي خيانــة

استمع «حسام الدين نظمي بك» الى هذه المعلومات بهـدوء تام ثم قال :

ـ لم ازل بعيدا عن معرفة حقيقة خطورة هذه المعلومات .

ـ انك على حق يا مولاي ، لان هذه المعلومات تمهيدية وانا نفسي لولا الفضول الذي دفعني لذلك لما اهتممت بالامر ، ومع هذا امرت يوسف الموصلي بأن يواصل المراقبة كما انني ازددت رغبة في التقرب من اليوزباشي شوكت والحصول على ثقته .

وفي اليوم الثالث جاء ذلك الشاب وبرفقته شخص آخـر مرتد ثيابا عربية ومرسلا لحيته الا انني رأيت في هيئته ما رابنـي لان ملامحه لا تدل على انه عربي فتظاهرت عندئذ بانني نائـم وحاولت ان استرق الحديث دون جدوى لانهما كان يتكلمان على شيء من الهمس مقدار ربع ساعة ثم سمعت بعد ذلك شـوكت يصيح :

ـ ابدا ... هذا لن يكون ... كفاني خيانة .

فأدرت عيني اليهما فرأيت ذلك البدوي يحاول خنقه ثـم يعود الى سكونه وهمهمه ثم عاد شوكت بك يقول :ـ

ـ عليك ان تبتعد عني ، والا وشيت بك وبنفسي .

ويظهر ان شوكت بك اظهر انفعالا شديدا فاصيب بنوبـة قلبية ، فقمت عندها من فراشي فرأيت ذلك البدوي يقدم له قدحا من الماء ما كاد يتناوله حتى هدأ في فراشه دون ان اهتم بأمره لان كان قد انصرف ولحقته الى الباب لادرس ملامحه بدقة .

ولما عدت الى الغرفة اسرعت الى شوكت بك لاسأله عن الامرفو جدته جثة هامدة .

فأسرعت ادعو رئيس الاطباء وما كاد يفحصه حتي صاح بي :-

- لقد قتل بالسم .

فرجوت منه ان يسكت ويخفي الامر لان في الحادث امورا خطيرة ارتكبتها الجواسيس وان لا يدع احدا يدخل الغرفة وكنت عالما بوجودك في بغداد وبالمهمة التي انتدبت من اجلها فجئتك مسرعا .

- وشوكت ؟

- لا يزال في غرفته .

- هيا بنا .

حيرة

وتوجه حسام الدين تظمي بك وعبدالرسول هادي الى المستشفى فاستقبلهما هناك رئيس الاطباء وابلغهما ان الظواهر تدل على ان الرجل مات متسمما بمادة سامة من «المركبات الهندية» فلم يهتم حسام الدين بك بالمادة التي قتل بها الضابط بل أراد ان يعرف حقيقة محتويات الغرفة ففتشها بدقة ثم تفقد صندوق الضابط القتيل فوجد فيه نسخا كثيرة من الاوامر العسكرية السرية .

لكن كل هذه الامور لم تهمه ابدا واذا برئيس الاطباء يأتي ويقول :

- عندما نقلنا جثمان الضابط الى مكان التشريح وجدنا هذه العلبة معلقة على عنقه .

والعلبة المذكورة مصنوعة من الفضة وهي صغيرة الحجم

قريبة من التعاويذ التي اعتاد البعض حملها وانها غطاء ملتصق بالعلبه ، ولما فتحه حسام الدين وجد فيها التعليمات الجديدة التي وضعتها القيادة العليا للدفاع بغداد ومعها الاوامر التي اصدرتها القيادة العليا في شأن هذه الخطط وبجانبها رقعة صغيرة كتبها شوكت بك بخط يده وهذا نصها :

«على من يجد هذه القطعة ، ولن يجدها الا بعد ان اكون جثة هامدة ، ان يعيدها الى القيادة العليا ويطلعها بان جواسيس الانكليز رغبوا في الحصول عليها وان في المعسكر من يخون »

توقف حسام الدين بك ومساعده الجديد حائرين تجاه هذه المعميات الجديدة وهي :

اولا : ان هذه الخطط وضعت بعد جرح اليوزباشي شوكت بك وقد نقل هذا الى المستشفى فمن اين وصلت اليه ؟

وما دام يعرف ان هناك جواسيس يريدون الحصول عليها ، فلماذا لم يخبر القيادة عنهم ؟ ولماذا احتفظ بهذه الاوراق مفضلا اخبار القيادة بأمرها وبأمر الجواسيس الا بعد موته ؟



الجاسوس وودوارد في صورة في اعقاب الحرب

ثانيا : من هم اولئك الخونة الموجودين في القيادة ولماذا لم يصرح بمذكرته باسمائهم ؟

ثالثا : من هو الذي جاء لمقابلته مع الشخص المجهول ثم فتك به ؟

من هم الخونة ؟

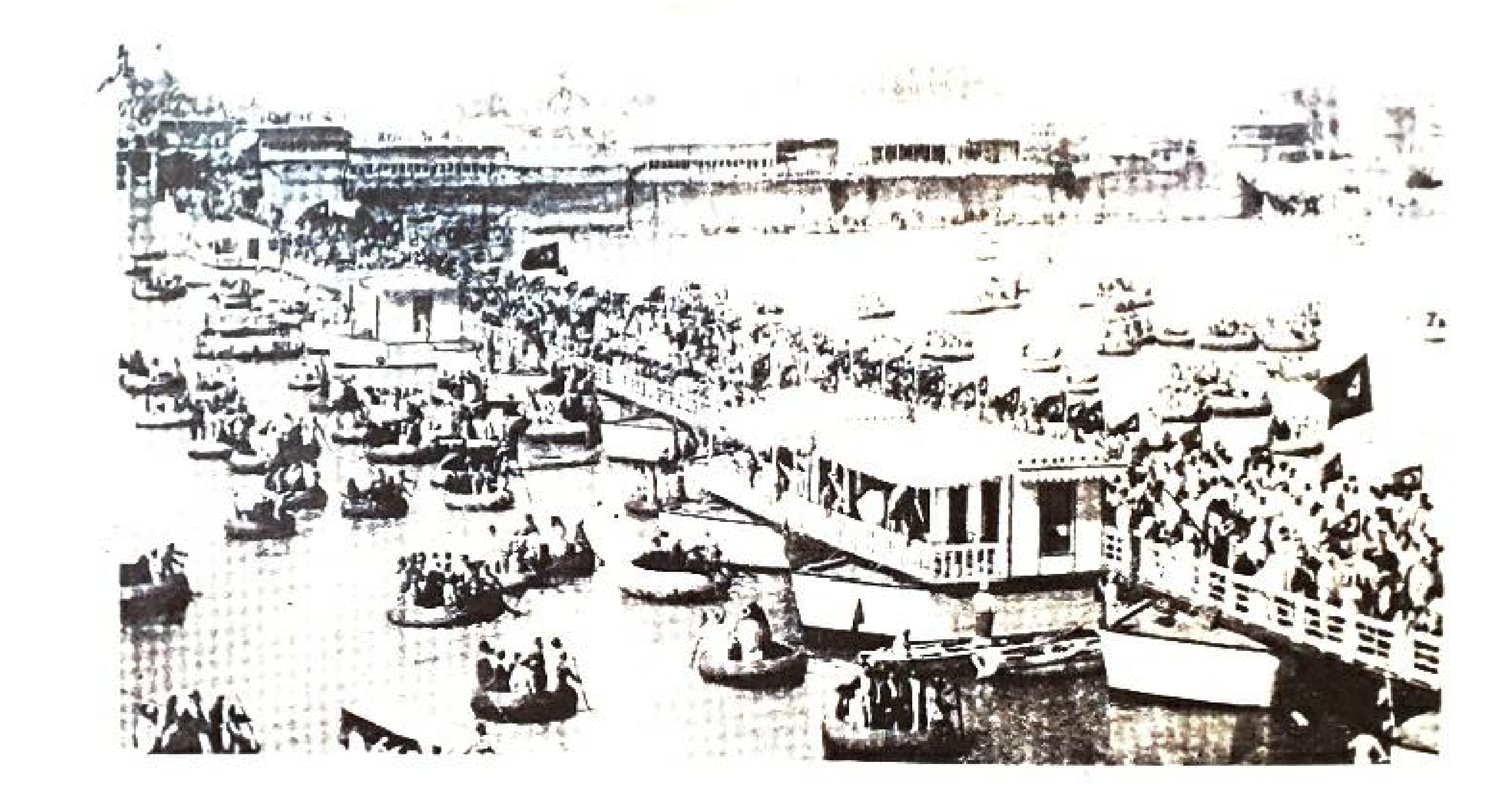
ولكن هذه الاسرار ما لبثت ان اخذت تتجلى امام القائد حسام الدين بك بصورة تدريجية فالمحاورة التي سمعها عبد الرسول بين البدوي المجهول وشوكت بك ، والمعلومات التي اوردها له مثلا عن كثرة المال مع الضابط القتيل في حين انه كان فقيرا دلته على ان شوكت كان قد باع نفسه الى الجواسيس وسلمهم كثيرا من اسرار الجيش •

غير انه بعد ان جرح في المعركة الحربية ندم على ما كان منه ولهذا ما كاد يتلقى من مساعده الخائن خرائط الدفاع الجديدة عن بغداد حتى رفض ان يسلمها الى مندوب الجاسوس •

وهو نفس الشاب الذي زاره في المستشفى قبل ثلاثة ايام وأثار ريبة عبدالرسول هادي فطلب من يوسف الموصلي ملاحقته على ما ذكرنا •

ويبدو ان حراجة الموقف الحربي قد فرضت على الانكليز المحاولة ثانية فأرسلوا البدوي والشاب في محاولة ثانية مع شوكت بك الذي هددهما بافشاء اسراره وعدم رغبته في متابعة الخيانة •

فخاف هذان ان يفتضح امرهما فقتله احدهما ، والاجرام في مثل هذه الامور سهل ومألوف •



جسر القوارب محل جسر الشهداء الحالي

اعترافـــات الراقصـــة

وعلى هذا لم يبق امام حسام الدين نظمي بك بعد ان وصل باستنتاجاته الى هذا الحد الا ان يعرف :

اولا : حقيقة هوية القاتل ورفيقه .

ثانيا : علاقة الضابط اورخان والراقصة بالجاسوسية .

ثالثا : الخونة المندسين في الاركان الحربية الذين اشار اليهـــم الضابط القتيل في مفكرته التي وجدت معه .

على ان يوسف الموصلي ما لبث ان حل اللغز الاول اذ جاء الى المستشفى وقال :

– ان من جاء الى المستشفى مع الشاب هو الشيخ عبدالله صاحب المنزل الذي ترصدته في محلة الكرادة .

– ورفيقه ؟

– انه غريب من بغداد ويعرف باسم سيد محمد .

– وما علاقة الراقصة والضابط به .

– لا اعلم .

لقد اصبح مفتاح حل الموقف بيد كلنهار ، وهذه امرأة على قدر كبير من الجمال والجاذبية ، وعندما القي القبـض عليهـــا حاولت الانكار ، ولكن حسام الدين بك عرف كيف يديـــر التحقيق وما لبث ان نبهها الى حقيقة اللقاء تلك الليلة في منـــزل الشيخ عبدالله مستخدما في ذلك يوسف الموصلي مما دلها عـــلى انه مطلع على كل الاسرار فقالت :

– لقد التحقت بمصلحة الجاسوسية الانكليزية منذ شهور عديدة، اي منذ الشهر الاول الذي جئت فيه الى بغداد . وكانـــت

مهمتي تنحصر في الاختلاط بالضباط ومعرفة التدابير العسكريه التي يعلمونها .

وكانت لدي ، لكوني امرأة ، طرق كثيرة تحملهم على الاباحة بأسرارهم وبذلك خدمت تلك الجاسوسية خدمات كبرى فتقاضيت بدلا من ذلك مبلغا كبيرا من المال .

وفي اواخر اب الماضي جاءني شاب يقول انه موفد الي من الشيخ عبدالله وهذا كل ما اعرفه من الجاسوس الانكليزي وطلب مني خطة الدفاع عن الكوت .

وكنت اعلم أن هناك ضابطا يظهر لي الحب وهو اليوزباشي شوكت بك فاستعملته الي واخذت منه اسرار الدفاع . وكان شوكت بك قد علم باتصالي برئيس مصلحة الجاسوسية الانكليزية فطلب مقابل ذلك مبلغا من المال وجسدي معا ففاوضت الشيخ عبدالله فقبل ودفع له مائتي ليرة عثمانية ذهبا ثم نقده في خلال عشرة ايام مبالغ اخرى، تزيد عن هذه القيمة .

الشيخ القاتل

وكانت القيادة العثمانية تسعى في ذلك الوقت الى استمالة العشائر النازلة على ضفة الفرات .

وحاول الجاسوس الذي عرفته باسم الشيخ عبدالله ان يحصل على معلومات بهذا الشأن من الضابط اورخان المسؤول عن شؤون العشائر في الفيلق فعهد لي بتحقيق هذه المهمة واستمالة الضابط المذكور ، وفي غضون اسبوع واحد تمكنت من ضم اورخان الى صفوف الشيخ فزوده بكل ما يحتاج اليه من معلومات عن تلك الامور .

وهنا سكتت كلنهار او منيرة خاندان عن متابعة حديثها ، فعاد حسام الدين الى استجوابها وقال :ـ

ـ كيف وصلت خطط الدفاع الجديدة عن بغداد الى شوكت؟

ـ ان شوكت بك بعد انتسابه الينا ، استدعي للسفر الى الكوت وقد جرح يوم وصوله اليها وجيء به الى بغداد ، وكان الشيخ عبدالله بحاجة الى خطط الدفاع الجديدة المشار اليها ، ففاوضني بأمرها فجئت شوكت اطلبها منه فرفض ولكي اغريه قلت له ان مساعده اورخان قد انضم الينا وانه اذا لم يأتني بالخطط راجعت اورخان بشأنها فيخسر هو كل شيء .

«وقد علمت انه ارسل يستدعي في اليوم نفسه اورخان الذي كنت قد فاوضته مساء في الامر واخذ منه خطط الدفاع بعد ان هدده بافشاء السر . ولما تأخرت على الشيخ عبدالله بما يريد من معلومات رويت له ما وقع فاستدعاني اليه مع اورخان وهناك ابلغه الاخير ما كان من تهديد شوكت بك له فوعده بانقاذه منه واعتماده اياه في هذه المهمة» .

ـ وهل علمت ان شوكت بك قد مات .

ـ مات ؟

ـ نعم ، مات قتلا .

ـ الشيخ عبدالله هو الذي قتله .

ـ ومن هو الشيخ عبدالله ؟

ـ لا اعرف عنه شيئا .

ـ ومساعده ؟

ـ لا اعرف الا انه يدعى سيد محمد .

- اتعتقدين ان الشيخ عبدالله شيخ من البدو ؟

- كلا ، يظهر لي انه انكليزي رغم اجادته اللغة العربية .

عندئذ امرها حسام الدين بك ان توقع على افادتها هذه ففعلت دون اقل تردد او ممانعة واعادها الى غرفة التوقف .

في الفخ

بعد ذلك استدعى حسام الدين كلا من عبدالرسول ومساعده الثالث «عارف بن احمد الناصري» وزودوهم بقوة من الشرطة ثم امرهم بان يتوجهوا في الحال الى منزل الشيخ عبدالله لاعتقاله ومن قد يكون معه .

وتوجه هو نفسه الى مقر القيادة لاعتقال اورخان ، وبعد ذلك ساعات من هذا الحادث كان حسام الدين بك في دائرته يأخذ افادة الملازم الاول اورخان فاعترف له هذا بكل الامور .

ولما انتهى من ذلك وارسله الى غرفته في الموقف ، عاد مساعدوه ومعهم اربعة اشخاص ، وقد روى عبدالرسول كيفية توقيفهم فقال :

- قصدنا الى المنزل سرا ، وبعد ان احطناه بقوة الشرطة قرعنا الباب فلم يجبنا احد ، فحطمنا الباب ودخلناه فوجدنا هؤلاء الاشخاص الاربعة مختبئين في المنزل فقبضنا عليهم جميعا ثم تحرينا الدار فوجدنا فيه آلة لاسلكية وبعض الخرائط والاوراق .

وقد كانت هذه كلها على جانب كبير من الاهمية فضبطناها .

حقيقة الشيخ

انصرف حسام الدين بعد ذلك الى استجواب الموقوفين ، وكان الشيخ عبدالله على رأسهم فحاول هذا في بادىء الامر ان ينكر هويته قائلا انه من عشيرة «الحميد» التي على شط الغراف بين «الحي» و «قلعة سكر» .

الا ان حسام الدين قاده الى الزنزانة التي تقبع فيها الراقصة كلنهار فتعرفت عليه في الحال ، فلم يجد امامه سوى الاعتراف بأنه «ادكار وود» الجاسوس الانكليزي الخطير والذي كان يفلت في كل مرة من اجهزة مكافحة التجسس العثمانية كلما حاولت ان تطبق عليه .

اما الثاني الذي لنفسه اسم «سيد محمد» فيدعى «عزت الدليمي» وكان من الجنود الذين وقعوا في اسر الانكليز فاتصل به «ادكار» واستخدمه .

والثالث يدعى «عجمان المحمد» من قبيلة «آل ابراهيم التابعة لبني ركاب في محافظة «ذي قار» حاليا ، والرابع «فرحان ابن احمد» من قبيلة «البو يوسف» وهي احدى افخاذ عشيرة «الازيرج» بين «الناصرية» و «الشطرة» ، وهذان الاخيران كانا من جواسيس «ادكار» المبثوثين بين القبائل وقد حضرا الى بغداد منذ يومين فقط ليتلقيا تعليماته بشأن هذه القبائل .

عجائب وغرائب

ابلغ «حسام الدين بك» هذه المعلومات الى «نور الدين بك» فجاءه جواب يقول ان الواجب يحتم عليه متابعة التحقيق في هذه القضية الى النهاية ليتمكن من معرفة جميع الاشخاص الذين

اشتركوا في هذه الحوادث والقضاء على اعمـــال الجاسوسية في هذه المنطقة .

غير ان «ادكار وود» لم يمكث سجينا في المعسكر العثماني الا ٤٨ ساعة فقد جاء عبدالرسول الى رئيسه مسرعا وهو يقول :

ـ ذهبت عند منتصف الليل الى المعسكر فرأيت حارس الباب نائما وبندقيته بجانبه فحاولت ايقاظه دون جدوى فتبينته فاذا هـــو ميت ، فدخلت الادارة ووجدت الحارس الواقف على باب الغرفة التي سجن فيها (ادكار) ميتا ايضا وباب الغرفة مفتوحا وليس فيها احد .

فناديت الحراس ولم اجد بينهم من يعرف شيئا عن ســـر مقتل هذين الجنديين ولا كيفية فرار الجاسوس ، ثم تفقــدت جميع المسجونين فوجدتهم في اماكنهم .

وقد هز هذا حسام الدين بك هزة شديدة فأسرع بنفسه الى السجن فلم يستفد شيئا علاوة على ذكره له مساعده .

عندئذ رأى حسام الدين ان يضع حدا لافراد هذه العصبة ويتخلص من تبعة بقاء افرادها تحت ادارته فختم تحقيقاته بأمرهم واحالهم الى ديوان حرب بغداد العرفي .

اخطبـــوط

ويوم انتقل هؤلاء من المعسكر الى السجن العســـكري ، وجدت منيرة خاندان او الراقصة كلنهار جثة هامدة ، وتبين انها طلبت شيئا من الطعام من احد خدم المقهى الذي كانت تشـــتغل فيه فكان ذلك سببا لموتهـا .

وقد اعتقل ذلك الخادم وهو رجل ممن يدعى عثمان أغـا فقـــال :

جاءني بدوي وقال لي انه من عشاق الراقصة ويريد ان يرسل اليها شيئا من الطعام والحلوى الى السجن ويدفع لي ريـــالا مقابل ذلك فذهبت بما اعطاني ودفعته اليها •

وقد تبين ان هذا الخادم بريء وان الراقصة ذهبت ضحية الجاسوس فأخلي سبيله •

وفي العاشر من تشرين الثاني ١٩١٥ ، نشرت جريـــدة «بغداد» الرسمية ما يأتي :

«نفذ حكم الاعدام في الساعة الخامسة من هذا الصباح بكل من اورخان محمد وعزت بن مصطفى الدليمي وعجمان محمـد الحمد وفرحان طاهر احمد لثبوت اشتراكهم في اعمال الخيانـة العظمى وفي اعمال الجاسوسية للاعداء وقد لقي هؤلاء الاشـرار جزاء دناءتهم وخيانتهم»[11] •

---

١١ ــ هذا الملف تلخيص اوعادة كتابة عصرية لتقرير طويل جدا ، مستند على مذكرات حسام الدين نظمي بالتركية ، وقـــد ظهر التقرير من مجلة «الاسرار» الصادرة في بـــيروت في ٢١ــ٣ــ١٩٢٨ والتي عثرنا على نسخة شبه بالية منها لدى احد باعة المجلات القديمة في سوق الســراي ببغـــداد فاضفنا اليه ما توفر لدينا من معلومات اخرى •

الحكايـــة الثانيـــة
كارثـة رهيبـة في الكـــوت

٢٢ تشرين الثاني ، ١٩١٥ ، وفي الساعات الاولى مــــن الصباح شن الجيش الانكليزي البالغ تعداده حــوالي ١٤٠٠٠ ضابط وجندي انكليزي وهندي بقيادة الجنرال «طاوزند» هجوما شديدا على المواقع التركية الى الجنوب من نهر «ديالى» وذلـــك بهدف اكتساحها ومن ثم الحصول على الجائزة الثمينة التـــي يتصارع الطرفان من اجلها .. بغداد .

كان الانكليز يتقدمون في ارض مكشوفة ، فتعرضوا لنيران المدفعية التركية المنصبة عليهم من الخنادق القائمة بين خطي الدفاع ، قرب سلمان باك ، ومع ان القوات التركية لم تكن تزيد على ١٣٠٠٠ جندي فقد استطاعت الصمود امام المهاجمين ومنعهم من القيام بحركة الالتفاف من الميمنة باتجاه «ديالى» والتي بذلوا جهدهم في سبيل تحقيقها حتى يقع الاتراك في الفخ بين «ديالى» شمالا و«دجلة» غربا فلا يستطيعون الخلاص ٠



جنود اتـــراك قرب الكوت

بلغت خسائر الطرفين في اليوم الاول من القتال زهاء ٥٠٠٠ قتيل وجريح ، وأسر الانكليز نحو ١٠٠٠ تركي ولكن نجدات تركية وصلت في الوقت المناسب ، فعززت الجانب العثماني ، فلم يعد امام «طاوزند» مجال سوى التقهقر من «اللج»[١] جنوبا حتى «الكوت»[٢] التي قرر التحصن فيها لحماية مثلث الناصرية[٣] – الكوت – البصرة بعد ان ذاق جنوده الويل بسبب النيران المنصبة عليهم والطقس السيء والحرارة اللاهبة والحشرات السامة .

سنحت الفرصة

في ٢٥ تشرين الثاني ، بدأ التقهقر وبعد ذلك بيومين وصلت قوات «طاوزند» الى «العزيزية» ولم يلبث الاخير ان اتجه الى «الكوت»[٤] حيث امر بحفر الخنادق الدفاعية في المدينة التي لم تكن سوى قاعدة للزحف .

وبالفعل انجز خطان دفاعيان اضافة الى القلعة المشيدة من اللبن[٥] والحصون الاربعة المتصلة بالاسلاك الشائكة ، وفي ذات الوقت قرر القائد الانكليزي ان يحافظ على قطع الاسطول

---

١ – بلدة صغيرة على «دجلة» جنوب «سلمان باك» .
٢ – على نهر «دجلة» عند تفرع «الغراف» عنه .
٣ – على نهر الفرات .
٤ – بين «بغداد والكوت» .
٥ – طابوق من الطين .



الجنرال طاوزند مع اركان حربه في الكوت (الوسط بالقبعة)

النهري التي عادت من «العزيزية» بسلام وهي تحمل الارزاق والسلاح وساعدت على الدفاع عن البلدة وان استطاع الترك اغراقها جميعا فيما بعد •

ادرك الجنرال «نور الدين» التركي ان الفرصة سانحة امامه فقرر محاصرة الانكليز ، لذا لم يضع لحظة واحدة في ملاحقتهم وقصفهم بنيران المدفعية الى ان تمكن من احكام الحصار تماما حول «الكوت» وقطع كل اتصال لها مع القوات الانكليزية الاخرى جنوبي البلدة ، وفي غضون ذلك قرر الجنرال «نكسون»[٦] القائد العام للجيوش الانكليزية في بلاد ما بين النهرين الانسحاب الى «البصرة» تاركا «طاوزند» وجنوده في «الكوت» مع حوالي ستة الاف من سكانها تعرضوا بدورهم للحصار مع ان الاتراك طلبوا ، اكثر من مرة ، وجوب اخلائهم عنها حتى لا يكونوا طرفا في الاعمال العسكرية ، لكن طلبهم قوبل بالرفض دون اي سبب اللهم الا جعلهم رهينة لدى الانكليز لغرض الاستفادة منها في اية مفاوضات في المستقبل •

حرب الخنادق

وكان الانكليز يحاولون المستحيل لنجدة المحاصرين ، ولكن المراكز التركية حول الكوت كانت قوية ومنيعة ، وقد زحفت قوة انكليزية مؤلفة من خمسة وعشرين الف جندي للقيام بعملية الانقاذ ، ولكن هذه القوة كانت تنقصها المعدات الحربية الكافية ، كما ان جنودها كانوا لاينعمون بحالة صحية

---

٦ ـ ارغم على التخلي عن قيادته لاسباب صحية كما قيل وحل محله الجنرال «بيرسي ليك» •

حسه بعد السفر الشاق الطويل الذي تحملوه من الساحة الغربية في اوربا الى العراق .

وكانت مهمة انقليات الملقاة على عاتق الجيش الذي يريد انقاذ القوة الانكليزية المحصورة في «الكوت» صعبة جدا ، فالبواخر الهندية قليلة ، وهذه البواخر تصنع من طراز خاص وتحتاج الى وقت لصنعها ، كما ان المواصلات البرية كانت ضعيفة والموجود منها لا يكفي لنقل قوات الجيش كلها ، وكانت مسألة المدافع تحتاج الى عناية تامة ، لان ما لدى الانكليز من المدافع كان قليلا وحرب الخنادق تحتاج الى مدافع كبيرة لهدم الخنادق وتمزيق الاستحكامات القائمة امامها .

ومع ذلك !

باشر الجنرال «ليك» الذي حل محل الجنرال «نكسون» في قيادة القوات الانكليزية في العراق بتنظيم القوة التي اشرنا اليها واطلق عليها اسم «جيش دجلة» ، وعلى الرغم من ضخامة هذه القوة ، الا انها كانت تحتاج الى قادة مجربين وهيئة اركان قديرة ، ذلك ان معظم هؤلاء قد ارسلوا من فرنسا او غاليبولي حيث استطاع الاتراك تحطيم الهجوم الانكليزي - الفرنسي على تلك المرتفعات المنيعة عند مضايق «البسفور» على مقربة من «الاستانة» عاصمة الدولة .

وفي ٣ كانون الثاني ، ١٩١٦ ، حشد الانكليز في «علي الغربي»(٧) حوالي ١٧ مفرزة من الخيالة و١٦ كتيبة من المشاة و٤٢ مدفعا و٤ سفن مدرعة ، وفي ٥ كانون الثاني استكملت

---

٧ - بين «العمارة» و «الكوت» .

الاستعدادات للهجوم .

اما الاتراك فقد اعدوا بدورهم خطوطا دفاعية هائلة على ضفتي «دجلة» جنوبي «الكوت» والى الشرق والغرب منها ، ولذا فلا عجب ان يتعرض الانكليز الى فشل اخر وبدأ هجومهم بالاخفاق التام في ٢١ كانون الثاني ، فلم يجدوا بدا من التراجع .

صمود

توقف القتال شهرا كاملا واصل الانكليز ، في غضونه ، استعداداتهم لمحاولة ثانية بينما عزز الترك مواقعهم وضيقوا الخناق على «طاوزند» وجنوده خاصة بعد ان انتقلت القيادة الى «خليل باشا»[٨] الذي ارسل الى المحصرين انذارا بوجوب الاستسلام بلا قيد او شرط .

وما ان حل الاسبوع الاخير من شباط ١٩١٦ ، حتى بدأ الهجوم الانكليزي العام على خطوط الترك الدفاعية ، ورغم ان هؤلاء تراجعوا هنا وهناك تحت ضغط زخم القوات المتفوقة عليهم ، الا ان خطوطهم الدفاعية الخلفية استطاعت الصمود مما ارغم الانكليز على التخلي عن هجومهم في اليوم التالي .

المحاولة الاخيرة

وقام الانكليز بمحاولة اخيرة لانقاذ الكوت بعد ان حل الجنرال «غورينج» محل «ليك» وذلك في اواسط اذار ، ١٩١٦ ، وكان تحت امرته ٣٠٠٠٠ جندي ، فاعتزم مهاجمة المراكز التركية في

٨ ـ ابن اخت «انور باشا» وزير الحربية العثماني واخر وال على بغداد وهو الذي فتح «خليل باشا جادة سي» اي «شارع الرشيد» الحالي عام ١٩١٦ وذلك لتسهيل انتقال القوات العثمانية عبر بغداد .

«حنه» و «الصناعيات» على الضفة اليسرى للنهر • وفي ٥ نيسان استولى الانكليز على المكان الاول ونفذوا منه الى «الفلاحية» الواقعة عند منتصف الطريق الى «الصناعيات» •

بذل المهاجمون اقصى ما في وسعهم للمضي في الزحف على ارض مغمورة بمياه الفيضان المألوف في هذا الوقت من كل عام في العراق ، الى ان اصبحوا على مسافة ٥٠٠ ياردة من الخطوط التركية في «الصناعيات» عند مدخل «الكوت» من الجنوب بيد أنهم بعد ان استماتوا في القتال عدة ساعات اضطروا الى التقهقر امام طوفان «دجلة» المتزايد وعنف النيران التركية(٩) التي كانت اشبه «بتيار من الموت» حسب تعبير احد الضباط الانكليز ، ثم اعادوا الهجوم في ساعة مبكرة من صباح ٩ نيسان ولكن دون جدوى •

غرقت جلنار !

وبجهد يائس ونهائي ، قامت القوات الانكليزية بين ١٣ و٢٠ نيسان بسلسلة من الهجمات على ضفة دجلة اليمنى فوق ارض تغمرها مياه الفيضان بدورها وفي طقس مخيف ولكنها لم تستطع التقدم كثيرا خاصة وان الاتراك قاموا بهجوم معاكس كلفهم غاليا وان دل على قدرتهم على المضي في المقاومة •

اما على الضفة اليسرى ، فلم يستطع الانكليز عمل شيء يؤثر على خطوط «الصناعيات» واخيرا ، وفي ٢٥ نيسان ،

---

٩ – كانت مدافع الجيوش العثمانية من صنع الماني متين في معامل «كروب» المشهورة •

حاولت الباخرة «جولنار» الوصول الى الكوت حاملة المؤن والذخائر الى «طاوزند» ولكنها ما كادت تصل الى مقابل قلعة «المقاصيص» البعيدة ثمانية اميال عن الكوت حتى اصيبت بقذيفة مدفع تركي فجنحت الى الشاطيء وقتل من قتل وجرح من جرح من ضباطها وبحارتها واستسلم الباقون ووقعت حمولتها بأيدي الترك •

اما «طاوزند» المحاصر داخل البلدة فلم يستطع القيام بعمل يذكر من اجل مساعدة «قوة الانقاذ» ، وذلك لعوامل عديدة منها ان المعارك الحقيقية كانت تجري خارج خطوطه الدفاعية ، اضافة الى ان ارزاق الجنود اوشكت على النفاد مما أدى الى انتشار الجوع والامراض المختلفة ، وهي ظاهرة امتدت الى سكان المدينة انفسهم الذين اضطروا الى اكل لحوم الحيوانات الميتة ومنها الخيول مما يذكره الشيوخ الطاعنون في السن حتى الآن •

يا صاحب الفخامة !

هذا على الجانب العسكري ، فما الذي جرى في الجبهة السياسية ، خاصة وراء الستار ؟ على الرغم من استمرار المناوشات بالشكل الذي اشرنا اليه ، فان «خليل باشا» قد ادرك ، منذ امد ، ان النهاية اقتربت حقا وان الانكليز لن يفلحوا في انقاذ حامية «الكوت» فأرسل في ١٠ اذار الرسالة التالية الى الجنرال المحاصر:

يا صاحب الفخامة !

لقد اجبرت القوات التي وصلت لانقاذكم على التراجع بعد معارك الفلاحية التي خسرت فيها سبعة الاف جندي ، وقد



– انـور باشـا

حاول الجنرال (المير) بعد ذلك التراجع ••• وبعد استعداد شهر ونصف اعتقد فيهما انه اصبح قويا للغاية ومهاجمة خطوطنا كلها على الجانب الايمن من دجلة •• ولقد رأيتم تلك الحملـــــة بعينكم •• ولكنه اضطر ايضا الى التراجع •• بعد ان خسر اربعة الاف جندي •• وانا الاحقه الان بقواتي •

اما انتم فقد قمتم بواجبكم العسكري ببسالة ولكني لا ارى سبيلا ممكنا لانقاذكم ، وقد علمت من اللاجئين الينا بأنكم بـــلا طعام وان الامراض متفشية فيكم •

انكم والحالة هذه احرار في الاستمرار على المقاومـــة في الكوت ، او التسليم لقواتي التي تزداد يوما بعد يوم ، وتفضـلوا يا حضرة الجنرال بقبول تقديري العظيم •

خليل(١٠)

× ★ ×

وقابل «طاوزند» هذا العرض بالرفض معبرا عن اعتقاده بأن «جيش دجلة» قادر على تخليصه وان كان سيفيق من اوهامـــه هذه بسرعة البرق ، فخلافا لاعتقاد الجنرال ، فقـد ابتكـــــر رؤساؤه فكرة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الحروب ، اذ قرروا ومن جانب «كتشنر» وزير الحربية نفسه تقديم رشوة الـــى «خليل باشا» وفقا لما يلي :

في ٢٩ اذار ، ١٩١٦ ، هبطت البرقية التالية على مقر قيادة الحملة البريطانية في بلاد ما بين النهرين وهي تحمل توقيـــع

١ ـ مجلة «الاسرار» البيروتية العدد «١٦» ١٢ اذار ١٩٢٠ •

السير «وليام روبرتسون» رئيس هيئة الاركان الامبراطورية العامة : افتحوا الخط ١٤٨٩٥ بالشفرة ، منتهى السرية ، وموجه لك (القائد العام) شخصيا .

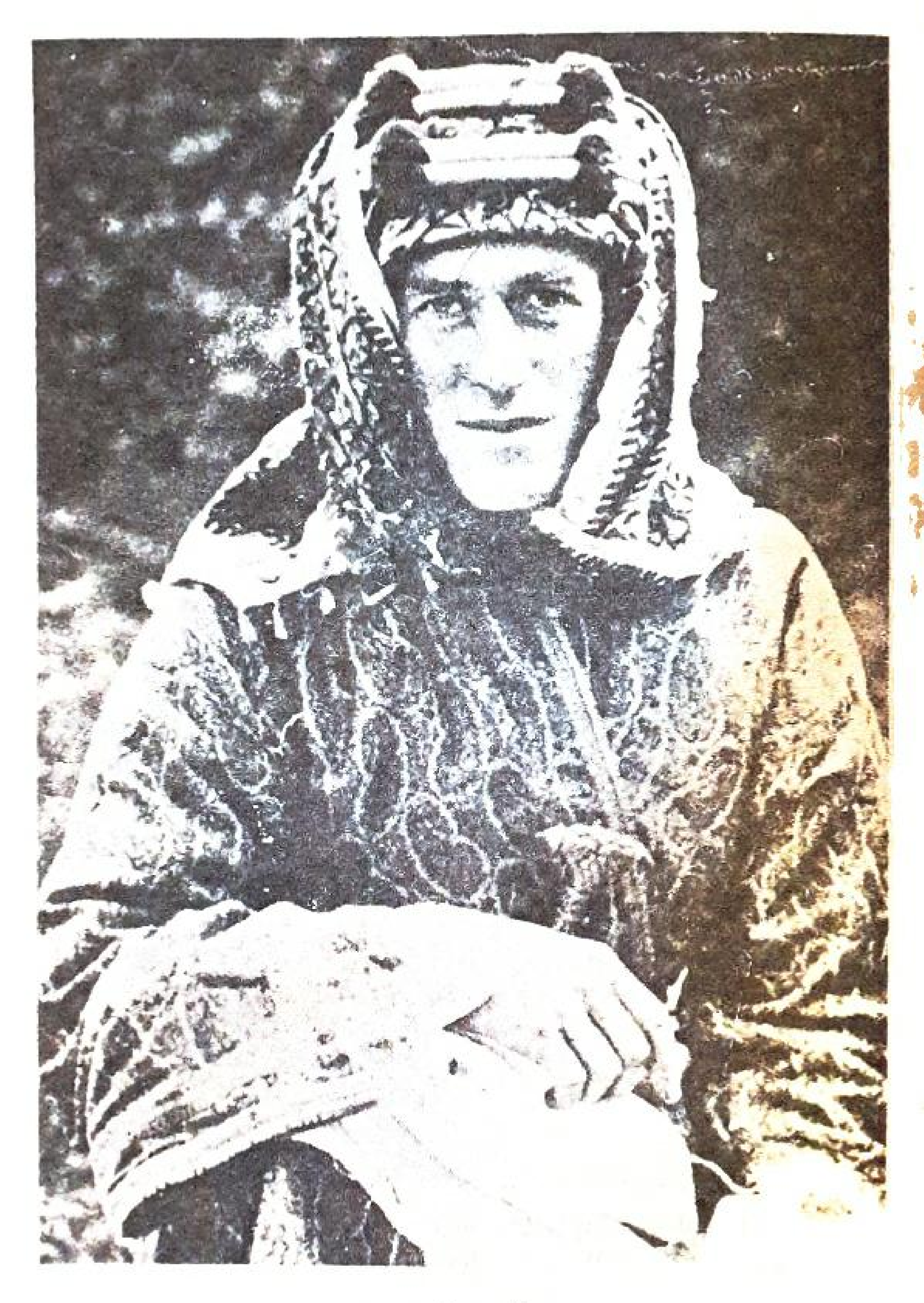
من المقرر ان يصل الكابتن لورنس الى البصرة حوالي ٣٠ اذار قادما من مصر للتشاور معكم ومعرفة ما اذا كان بالمستطاع شراء واحد من القادة الاتراك لجيش ما بين النهرين مثل خليل باشا او نجيب[١١] لغرض تسهيل انقاذ طاوزند ، لهذا الغرض ، انت مخول بصرف مبلغ لا يتجاوز مليون جنيه ، نظرا لعدم توفر شخص مناسب من الاهالي بالسرعة المطلوبة ، فان لورنس يتوجه وحيدا ولكن من الجائز العثور على وسيط ملائم في البصرة»[١٢].

وقع هذا النبأ المباغت وقع الصاعقة على القادة العسكريين للحملة ، ولم يقتصر ذلك عليهم بل امتد الى السير «بيرسي كوكس» الضابط السياسي الاقدم للحملة الذي اعتبر العملية اكثر اذى بالنسبة لهيبة بريطانيا من استسلام الحامية ، ومما زاد من حيرة المسؤولين العسكريين والسياسيين في المناطق المحتلة من العراق ان البرقية لم توضح ما اذا كان المبلغ موجها للاستعمال الشخصي من جانب «خليل باشا» او الى خاله «أنور باشا» او للحكومة التركية ، وفي الحالة الاخيرة فانه كان سيستخدم لاطالة امد الحرب ضد دول الحلفاء .

---

١١ ـ مساعد خليل باشا ، وكان يحل محله في قيادة القوات التركية عندما تكون لدى الاخير مشاغل او حصوله على الاجازة بعيدا عن ميادين الحرب .

١٢ ـ P RO, FO, 882/13.
وتعني دائرة السجلات العامة / وزارة الخارجية (البريطانية) .



لــورنــس

غادر «لورنس» القاهرة في ٢٢ اذار الى «السويس» حيث استقل سفينة اتجهت به عبر «البحر الاحمر» الى «البصرة» ، وقد بدا له موقف المسؤولين الانكليز هناك غريبا ، ويبدو ان البرقية الموجهة الى القيادة العامة ، او فكرة عنها على الاقل ، قد تسربت بشكل او بآخر ، اذ يقول «أبدى البريطانيون المقيمون اقوى معارضة لقدومي ، وكان اثنان من الجنرالات من الطيبة بحيث أوضحا لي ان مهمتي (التي لا يعرفان عنها شيئا في الواقع) كانت غير مشرفة بالنسبة لاي جندي (وانا لم اكن كذلك)(١٣) .

مع خليل باشا

غادر «لورنس» البصرة على ظهر احد المراكب متجها الى مقر قيادة «جيش» الانقاذ او «جيش دجلة» جنوبي «الكوت» والتي وجدها ، اي القيادة فوق سفينة تجاريه . تفاهم مع الجنرال «ليك» واصطحب معه ٢٥ نيسان كلا من الكابتن «أودري هربرت» عضو مجلس العموم والذي ينتمي بدوره الى «المكتب العربي»(١٤) والموجود في العراق بمهمة خاصة ، واللفتانت ـ كولونيل (المقدم) بيج ، مدير دائرة الاستخبارات في قوات الحملة .

تقدم الثلاثة من الخطوط التركية وهم يلوحون بشدة ، اكثر اذى بالنسبة لهيبة بريطانيا من استسلام الحامية ، ومما الضباط الاتراك حيث صرحوا لهم بالمهمة التي كلفوا بها . ثم

---

١٣ - T. E. Lawrence, Seven Pillars of Wisdon, London, Cape, pp. 58 — 60.

على الرغم من ان «لورنس» يحمل رتبة «كابتن» اي «نقيب» فانه كان يرى ان طبيعة عمله سياسية والرتبة تقديرية .

١٤ ـ تاسس في القاهرة عام ١٩١٦ لتنسيق فعاليات المخابرات البريطانية في منطقة الشرق الاوسط .



خليل باشا مع طاوزند وضباطهما في بغداد

وضعت مناديل على عيون الانكليز الثلاثة، وذلك من قبيل الاحتياط الامني بالنسبة للمواقع العسكرية التركية واقتيدوا مسافة عشرة اميال غربي «الكوت» ثم أربعة اميال الى الشمال منها حيث وجدوا انفسهم وجها لوجه مع «خليل باشا» الذي وصفه «لورنس» بانه في الثانية او الثالثة والثلاثين من العمر ، وانه دقيق للغاية ونشط وان كان غير ذكي او فطن(١٥) .

عرض الثلاثة على القائد التركي ما يلي : «يطلق سراح الجنرال طاوزند وجميع قواته المحصورة في الكوت فيوفدون الى الجانب البريطاني على شرط :

١ ـ ان يعطي الضباط والامراء (القادة) كلام شرف على ان لا يستخدمون ضد الاتراك طيلة الحرب .

٢ ـ وان يسلم الجنرال طاوزند الاربعين مدفع الموجودة لديه بصورة سالمة الى الجيش التركي .

٣ ـ وان تدفع بريطانيا العظمى مليون جنيه انكليزي الى الجيش التركي(١٦) .

رد القائد العثماني بأنه سيرفع الاقتراحات الى «انور باشا» الذي اجاب باللاسلكي انه يرفضها جميعا ويصر على استسلام «طاوزند» وقواته دون قيد او شرط(١٧) ، وبعد ان امضى «لورنس»

---

١٥ ـ The Home Letters of T. E. Lawence, London, 1972, p. 324.

١٦ ـ الزعيم محمد امين العمري ، حرب العراق ، المجلد الاول ، بغداد ١٩٣٥ ، ص ١٤٣ .

١٧ ـ تقول بعض المصادر ان «خليلا» كان على استعداد للموافقة على العرض الانكليزي لولا خشيته من ان يشي به الضباط الالمان الذين كانوا يعملون في قواته بصفة مستشارين .

وزميلاه ليلة في معسكر «خليل باشا» ، عادوا ادراجهم الى الخطوط الانكليزية ، وعندما علم «طاوزند» بما حصل ، اقترح رفع الفدية الى مليوني جنيه واوفد كلا من الكابتن «مورلاند» والكابتن «شكشانت» العاملين معه الى مقر القيادة التركية ، فاتصل «خليل باشا» مرة اخرى بوزير الحربية في الاستانة .

قال الاخير بانه على استعداد للسماح للجنرال «طاوزند» وحده بترك «الكوت» مقابل تسليم اسلحته وذخائره كاملة وسائر من بقي معه على قيد الحياة من افراد قوته المحاصرة مع المليوني جنيه من الذهب ، وارفق القائد العثماني رد «انور باشا» برسالة شخصية منه بهذا المفهوم ايضا وبعث بها الى «الكوت» قائلا للضابطين الانكليزيين : «ليوفر سيدكما امواله عليه ، فقد خسرت عشرة الاف رجل»(١٨) .

انتهى امر حامية «الكوت» ، وما ان اشرقت شمس التاسع والعشرين من نيسان حتى رفرفت الرايات البيضاء على كل معسكر وبيت في البلدة ، وتقدم «طاوزند» من «خليل باشا» وهيئة اركان حربه حيث جرى حفل الاستسلام وقدم له مسدسه وسيفه .

وهنا حدثت مفاجأة اخرى ، فقد اعاد «خليل باشا» المسدس والسيف الى القائد الانكليزي ، ثم اصطحبه معه في سفينته

---

١٨ ـ

Philip Kinghty and Colin Simpson, The Secret Lives of T. E. Lawrence London 1969, p. 48.



رسم انطباعي عن الاستسلام

الخاصة صاعدا في «دجلة» الى «بغداد» حيث التقطت الصــــور التذكارية ، ومن ثم ارسل «طاوزند» وضباطه الى «الاستانــة» ، وظلوا هناك الى ان وضعت الحرب العالمية الاولى اوزارها وعقدت الهدنة بين تركيا والحلفاء ، اما الحامية البالغ تعدادهـا ١٣٫٥٠٠ فقد سيقت الى «بغداد» ومنها الى «اسكي شهر» في قلب الاناضول» وبذا اختتمت اشنع هزيمة عسكرية في تاريخ بريطانيا الحربــي الطويل •

النصـــر المبـين في العـــراق

١٣ الـف اسير

من الانجليز

كـوت الامـارة

في مثل هذا اليوم من الاسبوع السالـف ابلغتنا اركـــان الحربية الجليلة نبأ سقوط كوت الامارة في ايدينا اذ القت حاميتها الانكليزية وقائدها العظيم اسلحتهم وبسطوا مطلب الامان ايديهم فانتهت بذلك حملة العراق الانجليزية بمثل ما انتهـــت بـــه حملاتهم العنيفة بالدردنيل وما عهدها ببعيد • ان هذه الحادثـــة ليست من الحوادث التي يجوز الاستخفاف بها أو التقليل من شأنها فانها ليست مجرد خسران العدو لبلدة صغيرة او حرمانه مـــن بضعة الاف من رجاله وقعوا اليوم اسرى بين ايدينا وانما هـــي الخطب الجليل والنذير الصادق •

ورم انف انجلترا في السلم وفي الصدر الاول من هـــذه الحرب فدبرت لدولة الخلافة حملة الدردنيل والحملة العراقيـــة جميعا فصدت الاولى منهما كما هو معروف ان تقبض على حضرة الملك ومقر الخلافة صانها الله تعالى فجمعت ما وسعت يدها ويد فرنسـا حليفتها من الرجال والسـلاح والمـال ثـم السفائن فاخترقوا البحر مختالين ونزلوا في غليبولي مطمئنين (حتـى اذا فرحوا بما أوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) •

بذلك التوفيق السماوي تمت الهزيمة لاولئك الجباريـن وحقت كلمة النصر لجيوش الموحدين • بيد ان الانجليز الذيـن اعتادوا المكر والتمويه اخذوا يخففون وقع تلك الهزيمة عـــلى قلوبهم فنشروا في بلادهم ما شاءوا مـــن الزخارف القوميـــة والتلبيسات الباطلة فأوهموا اممهم ان انصرافهم عن الدرنيـــل لم يكن سوى خدعة حربية وانهم سينالون عن طريق العراق مـا يمكنهم من قلب الدولة العلية ومقاتلها •

ساروا بحملتهم العراقية سيرتهم المعروفة وكبرت آمالهم في نتائجها العسكرية والسياسية والمعنوية حتى ان المستر اسكويـت رئيس الحكومة الانجليزية صرح غير مرة في مجلس البرلمان بـأن العراق سيكون مقبرة الحكم الاسلامي وفصل الخطاب في الحرب الحاضرة • ولكن لسوء حظ المستر اسكويت انه عاش حتى رأى ارض العراق قد تفتحت وتشققت ولكن لتبتلع جنود الدولـــة الباغية وتحجب عن ابصار الامم الشرقية ذلك المجد الموهـــوم

والعظمة التي كم هولت بها على الامم العربية وسائر الشرق حتى ازعجت نفوسهم وخلعت قلوبهم فأحنوا لها الظهور وطأطأوا الرؤوس وخضعوا لسلطانها الخيالي خضوع العبد لسيده المستبد، جمعت انجلترا في حملة العراق ما جمعت واندفعت في ريف العراق وبطائحه كالسيل الجارف حتى اذا رأت جنودها مأذن العاصمة القديمة للمسلمين واخذوا يتأهبون لدخولها أرسل الله عليهم من جنودها الباسلة الرابضة لهم في ضاحية صفين بلاء بدد جموعهم ودمر معاقلهم وحصونهم ، كذلك باغتهم الله بجنود التوحيد وحماة الاسلام فلم يبق لهم شمل ملموم ولا كرامة قائمة الا انهم مع هذا كله كانوا لايزالون يعلقون الامال بالنجدات التي اعدوها في الهند ويرجون بين الامم انه لا قبل لنا بيأسها الشديد ونكالها الاليم ولكنهم جهلوا فلم يدركوا ان الله قد حقت كلمته عليهم وهيأ سائر الاسباب لمحو سلطانهم وتحرير رقاب الامم الشرقية عامة والاسلامية خاصة من اطواق الحكم الانجليزي وذلك رحمة من الله جل شأنه بعباده المساكين بعد ان ابتلاهم بتلك الدولة الطاغية لينبه عقولهم الغافلة ويجمع قلوبهم المتفرقة ويعلمهم كيف يفعلون في مثل هذه الفرصة الحاضرة • وقد كشف لهم عن مبلغ عظمة تلك الدولة ومقدار بأسها وقوتها ، كم أزرت انجلترا بنا واستخفت برجالنا وكم قادت الدول الاوربية في تبييت الشر لنا والتآمر علينا ، وكم منحتنا من القاب الرزاية والامتهان ، وكم نشرت بين ملايين الامم الاسلامية ان وجود دولة الخلافة العظمى وقيامها الى الآن انما

هو أثر من آثار رحمتها بالمسلمين ومنة من ملكها المعظم على الدولة العثمانية • فاليوم يذيقهم الله بأيدينا عذاب الخزي في الحياة ولا يزال الله يريهم اعمالهم حسرات عليهم حتى يذوقوا سوء مكرهم وشر كيدهم • ان سقوط كوت الامارة اليوم لم يأت على غير توقع وارتقاب فان جنودنا الظافرة ايدها الله قد ضيقت الحصار على القائد تاونز هند[1] وجيوشه منذ اشهر تضييقا حمل ساسة انجلترا ورجالها العسكريين على اليأس من انجاده واسعافه وذلك بعد ان رأوا جنودنا المظفرة قد وقفت أمام الكتائب والفيالق التي جلبتها انجلترا من بلاد الهند وقفاتها التي نقشت لا في صحف التاريخ فقط ولكن على جدران قلوبنا •

توالت النجدات الانجليزية من الهند وغيرها ولكن كما هو معروف للقراء لم تقترن واحدة منهن الا بالخيبة والخسران فلم ينفعهم امتداد سلطانهم على البحار ولا اقتراب الهند التي هي مصدر قوتهم في الميدان ثم لم يغنهم جلب مئات الالاف من الجنود ولا كثرة ما حشروا من الاسلحة والمدمرات الجهنمية كما لم يغنهم انتخاب القواد والتحوط في التدابير العسكرية الكبرى •

رأى جميع ذلك رجال انجلترا في جزيرتهم فبدأوا منذ شهرين يهيئون الرأي العام لاحتمال هذه النازلة التي اصبحت واقعة لا محالة فكان اول ما فعلوا (وما هي الاسنتهم وعادتهم) ان شرعوا يتجادلون فيمن هو المسؤول عن حملة العراق وما وقع

---

١ ـ طاوزند •

فيها من الخطأ واكثروا في صحفهم من المناقشة في امر الصليب الاحمر والبعثة الطبية الخ .

اطلعنا على سائر ذلك فأدركنا لاول وهلة ان جنود كوت الامارة وسائر النجدات الانجليزية قد استيئست وان جنودنا المظفرة تشتد في التضيق عليهم وتمعن في التنكيل بهم وان لم يعترف الاعداء بتفاصيل ذلك صراحة ، وسواء اعترفوا او لم يعترفوا فقد انتهت المحاصرة بتسليم تلك القوة الكبيرة الانجليزية لنا والقاء مقاليدها الينا ، ثم لا يهمنا بعد ذلك ان تلقي انجلترا تبعة هزيمتها واندحارها على عاتق الحكومة الهندية المسكينة او على كاهل الهيئة المدبرة لها في لندن حاضرة ملكهم فان النتيجة المشاهدة اليوم اننا أسرنا جنودهم وغنمنا اسلابهم وهدمنا عظمتهم ومجدهم وسيرون عما قريب آثار ذلك في الهند والافغان وفارس ومصر وغيرها فان الاشاعات التي كانوا ينشرونها في ارجاء تلك الممالك في شرح انتصاراتهم المتوالية واستيلائهم على البقاع المتعددة وفي وصف استعداداتهم الحربية وتهويلهم على الامم الشرقية بنشر المعجزات التي اتتها اساطيلهم في سائر البحار كل ذلك احدث بعض التأثير في نفوس تلك الامم ولكن ما كان لهم ان يعتمدوا على امثال هذه الاراجيف فان حبل الباطل كما هو معروف قصير واغشية التمويه لا تلبث ان تتمزق ، لقد كذب عليهم الزمان وزعزع في تلك الممالك والبقاع سلطانهم فان خروجهم من الدردنيل قانعين من الغنيمة بالعودة وراضين من الغزاة بفرار

انقاضهم وبقايا جيوشهم على النحو الذي يعرفه كل انســـان قـد كان اول معول سلط على صروح مجدهم واساس عظمتهم حجرا حجرا ولقد جاء تسليمهم في كوت الامارة بعد ان ذاقـوا النكال والوبال فقلب مجدهم رأسا لعقب • وسيفقه السير جـراي[٢] واللورد كتشنر[٣] مبلغ ما جرا على بلادهم وملكهم من الخسـران بكثرة ما اضبوا الليوث العثمانية وكادوا للعوالم الاسلامية •[٤]

عبدالعزيز جاويش[٥]

---

٢ ـ وزير الخارجية البريطانية •

٣ ـ وزير الحربية البريطانية الذي مات غرقا بعد ذلك •

٤ ـ جريدة العالم الاسلامي ، الاستانة ٣ رجـــب ١٣٢٤ هـ ، ٦ مايو ١٩١٦ م •

٥ ـ اديب وكاتب من اصل تونسي كان يصدر الجريدة اعلاه•

الحكايـــة الثالثـــة
وضاعـت حاضـــرة الخلفـاء

اعقبت سقوط «انكوت» فترة من الهدوء ، وان كان ذلك شيئا ظاهريا ، وعلى الرغم من ان القيادة التركية ظلت عاطلة عن تعزيز قواتها واعادة تنظيم مواقعها وخطوطها ، باستثناء توجيه بعض القطعات الى «خانقين» لصد القوات الروسية التي وصلت الى هناك وطردها خارج العراق وحتى الاندفاع الى «ايران» و«افغانستان» و «الهند» حسب احلام «انور» ، فان الانكليز الذين صمموا على تنسيق خططهم مع الروس ارتأوا ان هزيمة «انكوت» لا تعني نهاية الامور .

ولهذا ، ورغم حرارة الصيف المحرقة ، اتخذوا التدابير لتحسين قواعد «البصرة» وميناثها وشرعوا بمد السكك الحديد بين الاخيرة و «الناصرية» و «القرنة» و «العمارة» ، وبين «شيخ سعد» والجبهة على الضفة اليمنى[1] لنهر «دجلة» فوصل الخط الى تلول «السن» في ايلول ١٩١٦ و«امام منصور» مقابل «الكوت» تقريبا في كانون الاول ، و«عتاب» على الجانب الايسر لنهر «الغراف» المتفرع من «دجلة» .

ومن الملاحظ ان هذه الاستعدادات ، والاخرى التي سيأتي ذكرها ، قد اشتد زخمها بعد انتقال السيطرة على الحملة في العراق من حكومة الهند الى وزارة الحربية بلندن في ١٦ تموز ١٩١٦ ، وقيام الاخيرة بارسال الجنرال «مود» الى «البصرة» لاستلام القيادة العامة . وقد ادى التبدل في السيطرة الى حصول القوات المتأهبة للزحف شمالا على معظم احتياجاتها بأقصر وقت ، فارتفع استيعاب المستشفيات من ٤٠٠٠ سرير الى ١٦٠٠٠ سرير ، وزرعت مساحات واسعة من الاراضي التأمين الاقوات لجنود القطعات ، والمراعي للخيول اداة القتال بالنسبة للفرسان وواسطة النقل المهمة ذلك الحين . وفي نفس الوقت تقرر التقليل من استخدام النقل النهري بالنظر لانخفاض منسوب «دجلة» و «الغراف» بالتالي ، والاستعاضة عنه بالنقل البري . ولهذا تم تجهيز ست سرايا نقل آلية وزودت القطعات بعدد كبير من سيارات الركوب والمدرعات والدراجات البخارية .

---

١ - يقصد بهذا التعبير يمين مجرى الماء وكذلك اليسار .

عناد الترك

ولم يكتف «مود» بذلك ، اذ كان يعرف مدى عناد الترك وبسالتهم ، خاصة في المعارك الدفاعية ، لذا حصل على ما يلزم لقواته من المدافع الثقيلة والهاونات وكدس كمية كبيرة من شتى انواع العتاد ، ودرب افراده على استخدام هذه الاسلحة وبذلك ضمن تفوقا هائلا على خصومه في العدد والتنظيم، اضف الى ذلك ان الموقف كان ملائما جدا للانكليز من الناحية العسكرية ، اذ كانوا قادرين على الانطلاق في اي وقت ، خاصة على الضفة ليمنى لنهر «دجلة» وعلى ضفتي «الغراف» نظرا الضعف المواقع التركية وتشتتها وعدم قيام قيادتها بأي عمل لسد نواقصها او تعزيزها .

وبالنسبة للقوات والعتاد ، فان العدد العام للجيش الزاحف وصل في تشرين الاول الى ٢٢١٫٠٠٠ شخص منهم ٥٣٫٠٠٠ من المشاة و٤٫٦٠٠ من الفرسان زودوا بحوالي ٤٥٫٠٠٠ بندقية و٣٥٠٠ سيف و٧٤ مدفعا وسرب طائرات ، مع وحدة من مهندسي الجسور وذلك لنصبها عند الضرورة فوق «دجلة» و«الغراف» و«ديالى» خط الدفاع الاول عن «بغداد» .

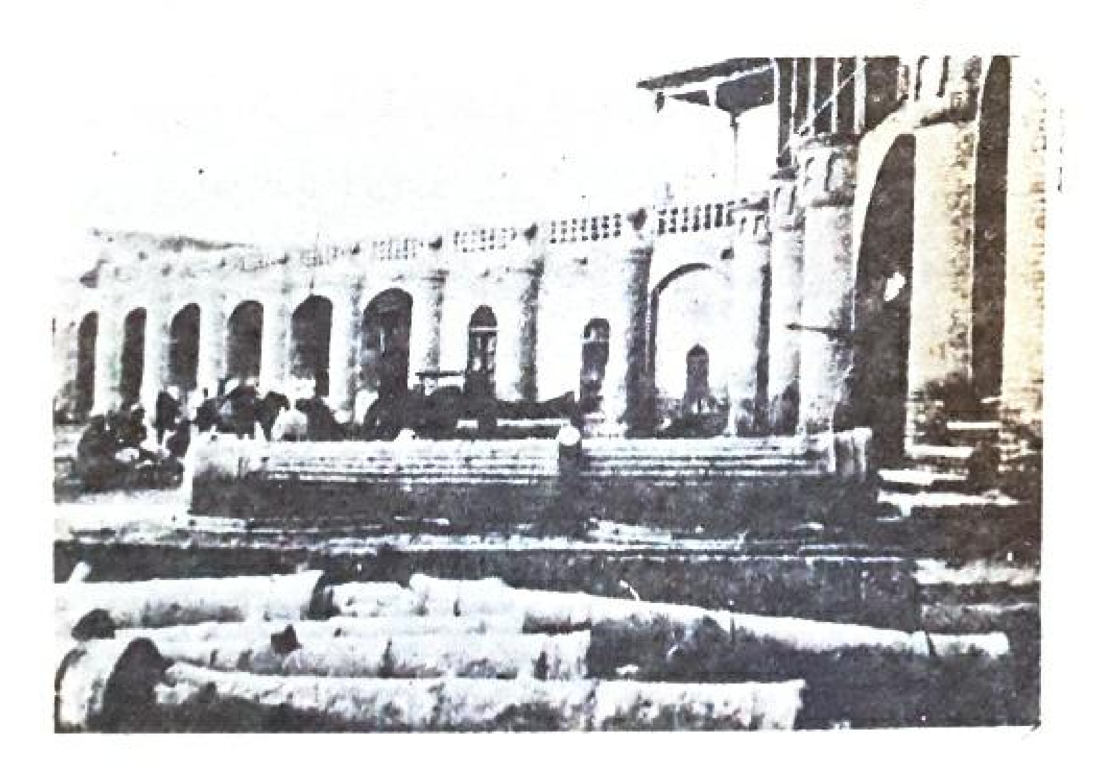
والواقع ، فان «خليل باشا»[٢] قائد الجيش التركي ، وجد

---

٢ - «هذا الوالي انهمك انهماكا شائنا في بعض المومسات فتسلطت عليه ، او انها الهته عن الامر المهم ، وشاع انه قال لها : (انا قائد الجبهة وانت الحاكم المطلق علي) ولم يتحاش من صرف امثال هذه الكلمات مما لايليق بمقامه ومكانتهوأمره المهم .. فلم يبال بالوضع واشتغل في لذائذه واهوائه النفسية» .

عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج٨ ص ٢٩٩

نفسه ملزما بتوزيع قواته المنهكة من خانقين الى بغداد فالكوت ، ومن بغداد الى الرمادي والسماوة على شط «الفرات» ، لذا وقع عبء الدفاع عن جبهة دجلة على عاتق الفيلق الثامن عشر بقيادة «كاظم قره بكر» ويتألف من الفرق ٥١ و٥٢ و٤٥ ، وهو مزود بحوالي ١٠ر٠٠٠ بندقية و٥٠ مدفعا . وكان الاخير يرى ان الانكليز سيزحفون من جانبي نهر «الغراف» انطلاقا من «الناصرية» وانهم سيعبرون «دجلة» شمال تفرع «الغراف» منه لمحاولة تطويق الترك في «الكوت ومنطقتها وقطع الطريق عليهم وارغامهم على الاستسلام او الابادة ، وبذلك يصبح السبيل الى بغداد مفتوحا امامهم على مصراعيه ، وعلى الرغم من مبادرة «قره بكر» الى رفع هذا الرأي الى قيادة الجيش السادس ، فانه قوبل بالتجاهل .



القلعة المدفعية في بغداد

اضغاث احلام

وقبل المضي في الحديث عن العمليات العسكرية ، نرى ضرورة تلخيص العوامل التي حدت بالانكليز الى استئناف الزحف رغم هزيمة «الكوت» الساحقة :

اولا : لا يمكن الاستفادة من الموقع الاستراتيجي البالغ الاهمية للعراق واستغلال ثرواته الزاخرة ، الظاهرة منها والخفية، الا بالاستيلاء على بغداد وهي بمثابة القلب منه •

ثانيا : حرمان الترك من مركز عملياتهم الحربية في العراق وجعلهم معرضين الى هجوم بريطاني - روسي في منطقة ولاية الموصل •

ثالثا : توجيه ضربة سياسية ومعنوية للاتراك لما لهم من ارتباطات دينية وتاريخية مع مدينة الخلفاء •

رابعا : الحصول على كسب معنوي ، ليس بالنسبة للامبراطورية البريطانية وبلدان الحلفاء فحسب ، بل وحتى مسلمي الهند الذين يوجد بينهم كثيرون من المتعاطفين مع العثمانيين ويعتبرون بريطانيا مسؤولة عن خروج الشريف «حسين» عن طاعة الخلافة الاسلامية •

خامسا : تقوية مركز بريطانيا في البصرة وما يجاورها ورفع سمعتها امام الشيوخ والامراء المتعاطفين معها في الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية •

سادسا : اعطاء زخم للثورة العربية في الحجاز التي اندلعت ضد الترك في حزيران ، ١٩١٦ •

سابعا : عدم تجميد الموقف وفتح احتمالات جديدة امام طرفي النزاع •

ثامنا : الثأر لكارثة «الكوت» •

تاسعا : وبينما كان الانكليز يتطلعون الى اقامة تعاون وتنسيق عسكريين مع الروس القادمين الى العراق عبر ايران ، واحتلال بغداد يوفر ذلك بشكل اسرع وافضل بالتأكيد ، فقد كانت تساورهم ايضا مخاوف من احتمال استيلاء الروس على المدينة ، وهذا أمر اعتيادي في السياسة الدولية عندما يأخذ كل طرف مصالحه بنظر الاعتبار •(٣)

---

٣ ـ سياسه «العباءة والخنجر» المعروفة •
ـ ليس لبريطانيا صداقات دائمة او عداوات دائمة ، بل مصالح دائمة • «رئيس الوزراء غلاستون (١٨٠٩ ـ ١٨٩٨)
ـ وبالرغم من الحاح القيادة العامة البريطانية على القيادة الروسية بتسريع تقدم الجنرال باراتوف الى بغداد لتهديد خط رجعة الجيش السادس التركي وقاعدته بغداد لغرض تسهيل عملية انقاذ الجنرال طاوزند ، نجد ان الروس يتماهلون في ذلك • فقد وصل الرتل الروسي الى كرمانشاه في ٢٦ شباط ١٩١٦ ولم يصل هذا الرتل الى كرند التي تبعد عشرة مراحل عن بغداد الا في ٢٩ نيسان ١٩١٦ اي يوم تسليم الجنرال طاوزند ويعتقد الكثيرون ان هذا ناشىء عن التنافس السياسي الخفي بين الدولتين في سبيل سبق الوصول الى بغداد •» شكري محمود نديم ، حرب العراق ،

كتبت «جير ترود بيل» الموظفة الملحقة بالحملة البريطانية والسكرتيرة الشرقية لدار الاعتماد ببغداد فيما بعد رسالة الى والدها بتاريخ ١٩ اذار ١٩١٧ ، اي قبل سقوط بغدد بيومين ، تقول : «هذه هي نهاية اضغاث الاحلام الالمانية بالهيمنة في الشرق الادنى اي برلين – بغداد والبقية ، ان مكانهم لن يكون في هذه الشمس ، كاد الامر ان يصبح كذلك لو تركوا لوحدهم ولم يحاولوا فرض الخطوة بالحرب • اما الان فقد خرجوا منه الى الابد ، كما يسلوروني الامل ، وليس هناك من احد يقدمون له الشكر غير انفسهم»(٤) •

الهدف الاول

ومهما يكن من امر ، فاننا لا نريد الدخول في التفاصيل اليومية الآنية للعمليات العسكرية ، فذلك يتطلب سفرا طويلا ، وبمقدور الباحثين العودة الى المراجع والكتب الكثيرة التي نشرت حول الموضوع ، بل نقول انه كانت امام «مود» اربع مهام محددة عند تكامل تحشد قواته مقابل الكوت هي :

الاولى : القضاء على القوات التركية في القاطع المعروف باسم «دورة الخضيري» بين يسار «الغراف» ويمين «دجلة» •

الثانية التخلص من خطر القوات الموجودة الى الغرب من «الغراف» على امتداد «دجلة» والتي تهدد ميسرة الانكليز •

---

٤ – تقصد سكة حديد برلين – بغداد – البصرة والتي تصور الالمان ان بمقدورهم ايصالها الى الكويت ، غير ان الانكليز بددوا ذلك التصور •

Letters of Gertsule Bell, p. 55.

الثالثة : ايهام الترك بأنه يروم عبور دجلة الى الشرق من مقابل موقع «الصناعيات» جنوبي الكوت ، لذا اصدر اوامـــره الى القطعات الموجودة جنوبي الموقع بمشاغلة العدو دوما •

الرابعة : عبور «دجلة» عند شبه جزيرة «شمران» الواقعة على بعد ٧ أميال شمال «الكوت» لغرض قطع الطريق على خصومه المتقهقرين او القضاء عليهم •

وبعد معارك عنيفة استمرت شهرا كاملا ، اي مـــن ١٧ كانون الاول ١٩١٦ حتى ١٩ كانون الثانـي ١٩١٧ ، حقـــق الانكليز الهدف الاول بعد ان دافع الترك عن مواقعهم بضـراوة ، ولكن دون جدوى • استمرت عمليات التمشيط مـن ٢٠ كانون المتبقية في دورة «بشارة» المقابلة الى «بيت شمران» تقريبـا •

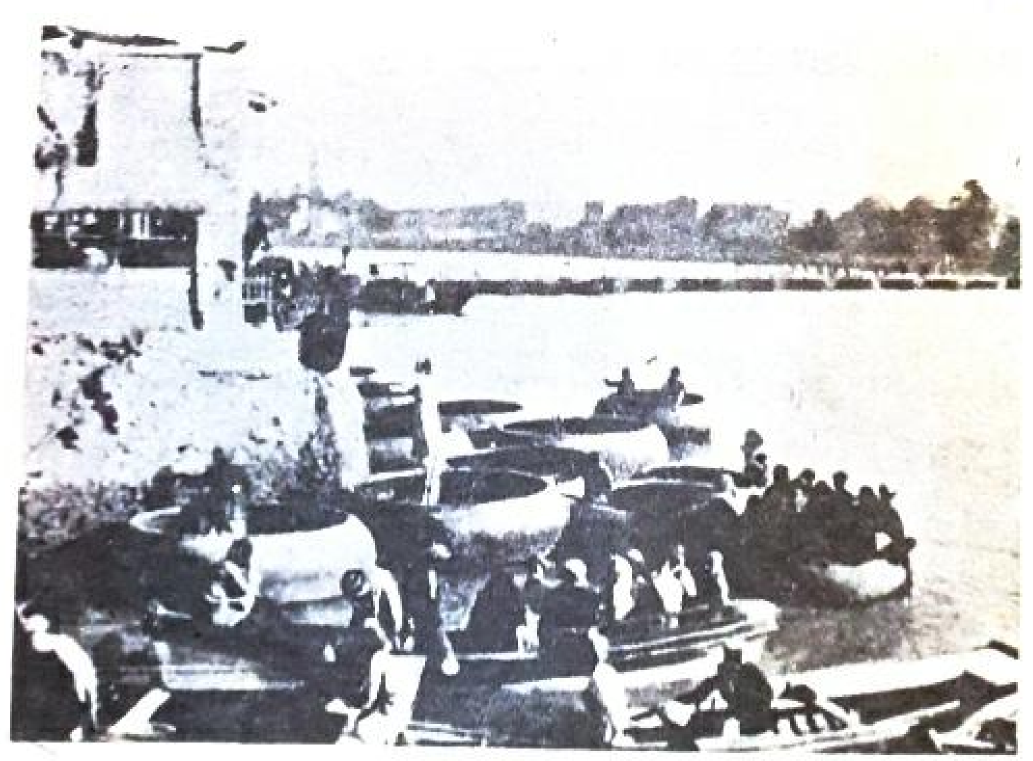
معلومـات وافيـــة

لقد تكبد الاتراك ، خاصة بفعل القصف المدفعي العنيـف المتواصل على مواقعهم شرقي «دجلة» خسائر فادحة لم يتمكنـوا من تعويضها أبدا • وما ان حل يوم ١٧ شباط ، حتى شن الانكليز هجوما شديدا على موقع «الصناعيات» ، وفي ذات الوقت ، دفـع «مود» عجلات محملة بالخشب وبعض الزوارق في «الـــغراف» زيادة في ايهام الترك بانه يريد اقامة رأس جسر شمالي «الكوت» مباشرة •

وعندما أزفت ليلة العبور الحقيقـــي (٢٢ ـ ٢٣ شباط) ، ركزت المدفعية الانكليزية قذائفها على الضفة اليسرى مقابل قلعة

الثاني وتكاملت في ١٥ شباط بعد ان استسلمت القوات التركية «المقاصيص» ثم جرى انزال ستة قوارب في نفس المنطقة اغرق الترك نصفها وعادت البقية ، اما عند «بيت شمران» فقد بلغ من المباغتة ان المدافعين عن الموقع لم يطلقوا النار على جنود الانزال الا بعد مرور اكثر من ساعة على ذلك .

ولقد تبين ، فيما بعد ، ان القائد البريطاني حرص على تدريب جنود القوارب في نهر «الغراف» كما حصل على معلومات وافية ودقيقة عن طريق ارسال ضباط ركن ومهندسين ومدفعيين مع الدوريات التي كانت تتجول في المنطقة ، وبعد ان تم انتقاء ثلاثة معابر في الوجه الجنوبي لدورة «شمران» وتوفير النار الساترة لقطعات العبور ، ثبتت مواقع الاجتياز ومحل الجسور نهائيا بحيث يمكن ايجادها ليلا .



باب السيف

شرعت القطعات المذكورة بالانزال في الساعة الخامسة والنصف من مساء ٢٣ شباط وبعد اقل من ساعتين ، اقيم رأس جسر على الجانب الشرقي • وفي الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم التالي اكتمل نصب الجسر(٥) وبادر الانكليز الى التدفق ، رغم محاولة الترك شن هجوم مضاد مساء ٢٣ شباط ، حتى اكتمل نزول القوات المنتقاة صباح ٢٤ شباط بعبور فرقة خيالة وفرقتي مشاة والمدفعية وبذلك اوشك الاتراك على الوقوع في فخ محكم •

سباق مع الزمن

وازاء هذا الوضع الذي يهدد بكارثة رهيبة ، واتضاح تفوق الانكليز في كل شيء ، لم يعد امام الترك سوى السباق مع الزمن ، وبناء على ذلك ، قرر «خليل» الانسحاب الى بغداد ، فتلقت الفرق الامر الخاص بترك مواقعها في الساعة الثامنة والنصف مساء ٢٤ شباط على ان تخصص قوة لحصر الانكليز في «دورة شمران» والقيام بمشاغلتهم في قتال لحماية المؤخرة • غير ان هذه القوة تقهقرت بدورها في ساعة متأخرة من مساء اليوم التالي بعد ان فقدت نصف افرادها ومدافعها ، اما «مود» فلم يخسر في حركة العبور بأسرها سوى ٣٥٠ فردا •

في غضون ذلك ، اكمل الانكليز تحشدهم شمال شبه جزيرة شمران ، واجتاز الاسطول النهري الذي كان مرابطا

---

٥ – في الواقع ، لم يفلح الانكليز في اجتياز «دجلة» بالقوارب الا من موقع واحد • اما المحاولتان الاخريان فقد فشلتا نتيجة لانتباه الترك في نهاية الامر وتسليطهم النيران على العابرين •

جنوبي «الكوت» البلدة ، وتمكنت بعض مراكبه من الوصول الى «شمران» بينما ضمنت القوة الجوية البريطانية السيطرة التامة على سماء المعارك •

وفي ٢٥ شباط ، اصدر «مود» أوامره بملاحقة التـــرك ومحاولة الالتفاف عليهم من الشرق الى الشمال • ولم تلبـث الوحدات التركية التي خسر البعض منها اكثر من نصف رجالها وعتادها مع المعاناة من الجوع بسبب عدم صـرف الارزاق ، ان دخلت في معارك متلاحقة مع الزاحفين •

علـى العـدو والصديـق

وفي احدى المرات ، فتح الاسطول الانكليزي نيران مدافعه وصب اللهب على ميمنة الترك ، بينما كاد البريطانيون ان يزعزعوا وضع خصومهم عندما الحقوا الهزيمة بواحدة من الفرق ، فحاول الخيالة الاحاطة بميسرة الترك ، ولولا مبادرة هؤلاء الى اطلاق ما لديهم من نار على العدو والصديق سوية ، لما تمكنوا من انقـاذ الموقف والانسحاب على عجل فور حلول الظلام[٦] •

---

٦ ـ «ادت المعركة في السادس والعشرين (من شباط) الى تحويل التقهقر التركي الى هزيمة شنعاء • كان العدو الذي يتحرك الان على جبهة عريضة ، مجرد حشد من الرعاع غير المنظمين، وليس رتلا يسير بنسق من اربعة رجال في كلّ صف • وفي ٢٧ شباط اقتحم الفرسان العزيزية في الظلام ، ووجدوه مسيطرا عليها فاشتبكوا معه راجلين ، وفي الصباح اخـلى العدو مواقعه ، موليا وجهه صوب اللج •»

Edmund Candler, The long Read to Baghdad, p. 77.

وعلى الرغم من ان رأي «خليل باشا» كان يدور حول التمركز في «سلمان باك» واتخاذها موضعا دفاعيا ، الا ان اندفاع الاسطول البريطاني الى الامام وقصفه القوات المتراجعة من بقذائف المدفعية وشروع الخيالة والمدرعات بتطويق الجناح الايسر للمتقهقرين ، كل ذلك ارغم قائد الفيلق التركي على عدم دخول اية معركة امام نهر «ديالى» فانسحبت قواته الى خط دفاعي خلف النهر وتم التحشد هناك يوم ٦ اذار • ومما ساعد الترك على استرجاع انفاسهم ان «مود» اوعز ، لاسباب ادارية ، بالكف عن المطاردة ، فتوقفت قواته في قصبة «العزيزية» ابتداء من ٢٨ شباط وحتى ٥ اذار عندما يقرر ان الوقت قد حان للاستيلاء على بغداد[٧] •

لقد دقت ساعة تاريخية !

---

٧ ــ «وفي ٦ اذار استؤنفت المطاردة ، فقام المشاة بمسيرة ١٨ ميلا الى زوير بعد ان سبقتهم الخيالة التي زحفت حتى اللج على بعد ٧ اميال الى الشمال منها في الطريق الى هدفنا ، كانت جميع الصنوف الخمسة للقوة ــ البحرية والخيالة ، والمشاة والمدفعية وفيلق الطيران ــ تعمل سوية بطريقة جديدة في اية حرب •»

The Long Road to Baghdad, p. 80.

على ضوء القمر

نتيجة للخسائر الهائلة التي مني بها الفيلق ١٨ التركي ، انخفض موجوده من المقاتلين والسلاح والعتاد ، وتدهورت معنويات من تبقى من افراده ، وتدنت قدرتهم على التصدي للانكليز الى حد مفزع • ذكرنا ان الفيلق المذكور تألف من ثلاث فرق ، وقد تمركزت الفرقة رقم ٥١ الى اليمين و١٤ الى اليسار بينما عهد الى الفرقة ٥٢ ان تقوم بواجب الاحتياط في الخلف ، ولم تلبث الاخيرة ان تلقت الأوامر بالعبور الى ضفة «دجلة» اليمنى حيث شغلت ، في ٧ اذار ، الخط الممتد من نهر دجلة ـ تل اسود ـ أم الطبول ـ تل عاطف • عاود الانكليز هجومهم في ديالى في نفس اليوم واعقبوا ذلك في ٨ اذار بنصب جسر عند قرية «باوي» الواقعة على بعد ١٠ كيلومترات الى الجنوب من مصب «ديالى» في «دجلة» وقد شعر الترك بذلك نتيجة لاستطلاع قام به الطيارون الالمان ، الا انهم لم يستطيعوا اتخاذ اي من الاجراءات المضادة(٨) •

---

٨ ـ «وفي باوي ، على مسافه اربعة اميال شمال سلمان باك ، قمنا بنصب جسر فوق دجلة مرة اخرى ، وقذفنا بقوة من كل الصنوف الى الضفة اليمنى • كان الترك يتمسكون بموقع شاوا خان الواقع على بعد حوالي خمسة اميال جنوب غربي بغداد ، بينما استندت مسيرتهم على دجلة ، لم تكن لديهم دفاعات طبيعية على هذه الضفة يمكن مقارنتها بديالى وفي هذا الوقت تخلوا عن كل امل بانقاذ المدينة وكانوا يخوضون قتال تعويق • ادت العاصفة الترابية التي هبت بشدة يومي ٩ و١٠ الى مساعدتهم حاجبة اياهم عن مدافعنا اثناء تقهقرهم»

The Long Road to Baghdad, p. 93 — 94.

ولم يكتف «مود» بذلك ، بل استفاد من البواخر المرافقة للحملة في نقل المزيد من القوات الى ضفة «دجلة» اليمنى وذلك لحماية الجناح الايسر للفيلق البريطاني الثالث عند محاولته الثانية اجتياز «ديالى» بعد ان كان الاخفاق نصيب الاولى التي جرت في ليلة ٨ اذار ، ذلك ان ضوء القمر الساطع جعل المدافعين يشعرون بها ، فصبوا نيرانا شديدة من الاسلحة الخفيفة وكبدوا المهاجمين اصابات جسيمة رغم قوة رمي المدفعية الانكليزية من الضفة اليسرى للنهر .

مقاومة عنيدة

وبينما استمرت القوات البريطانية في اجتياز دجلة ، اصدر «مود» أوامره في ٨ اذار بوجوب التوجه الى الكرخ على ان يكون الهدف محطة القطار التي شيدها الالمان قبل الحرب[٩] والجسر الحديد على نهر «الخر» ثم المنطقة السكنية ، على ان يقوم رتل اخر بالالتفاف من ميمنة الترك والاندفاع الى «الكاظمية» لغرض التطويق .

اما في «ديالى» فقد امضى الانكليز طوال نهار ٨ اذار في استكمال استعداداتهم لاستئناف محاولة العبور ، وفي الوقت الذي جرت فيه عمليات انزال كاذبة من اجنحة نقاط العبور الحقيقية . فتحت المدفعية البريطانية نيرانها في الساعة الواحدة من صباح

---

٩ — محطة قطار غربي بغداد وكانت قائمة جوار جامع «محمود بنية» الحالي ثم ازيلت .

٩ اذار واندفعت القوارب الى امام ، بيد أنها قوبلت بمقاومة عنيدة ، لذا اضطر القائد العام الى وقف محاولات العبور عند الفجر ، وان كان اكثر من ١٠٠ فرد قد اجتازوا النهر بالفعل فانضموا بعضهم الى بعض وشكلوا موقعا دفاعيا قاتلوا فيه بصلابة الى ان حل الظلام ٠

ومع محاولات الترك المتعددة للقضاء على رأس الجسر المذكور ، فانهم اخفقوا في ذلك رغم الاصابات الكثيرة التي مني بها المدافعون القلائل ، ويبدو ان هذه المقاومة كانت مفتاح الموقف فما ان حل يوم ١٠ اذار ، حتى عاد الانكليز الى القصف المدفعي العنيف وواصلوا عمليات الاجتياز على نطاق واسع ، ودون مقاومة تقريبا هذه المرة ، ذلك ان الترك شرعوا بالانسحاب الى خط تل محمد ـ كرارة ، فاستطاع المهندسون نصب الجسر عند «جماعة سلمان»[١٠] على مسافة قريبة من «دجلة» وعبرت كل القوارب الانكليزية ٠

عاصفة ترابية

وهنا تحول القتال الى مجرد مناوشات بين الزاحفين والمتقهقرين خاصة عند موقعي «اسميدة» و «الذيبية» الا انه توقف في الساعة الرابعة بعد الظهر بالنظر لهبوب عاصفة ترابية شملت سائر ارجاء «بغداد» والمنطقة المحيطة بها وأدت الى صعوبة الرصد ٠

وبالنسبة للكرخ ، فان الخيالة الانكليزية التي كانت في مقدمة القوات الزاحفة ، اتجهت نحو طريق بغداد ـ المحمودية ،

١٠ ـ على نهر دجلة ٠

بيد انها فقدت اتجاهها ، وفي الساعة ٦ صباح ٩ اذار وصلت طليعتها الى منطقة «تل اسود» ومع توفر فرصة لمهاجمة الترك في خنادقهم التي عرف بها الانكليز هناك ، فان قائد الخيالة رفض الفكرة وأثر القيام بحركة التفاف واسعة التطويق الجناح التركي الايمن .

واثناء انهماك قطعات الخيالة في الالتفاف ، قرر قائد الفرقة السابعة مهاجمة خطي الدفاع التركيين اللذين يمتد احدهما من «دجلة» الى «خنيزيرات» ثم «تل اسود» وثانيهما من النهر الى تلول «أم الطبول» ، على أن يكون الهدف الاول للهجوم الوصول الى جسر الخر الحديد . استمر القتال طوال يوم ١٩ اذار ، ورغم التفوق البريطاني الشامل ، فقد استطاعت الدفاعات التركية ارغام المهاجمين على التوقف مساء اليوم نفسه بعد ان تعرضوا الى اصابات لا يستهان بها نتيجة لتأثير نيران المدفعية التركية المخبأة جيدا في بساتين شبه جزيرة الكرادة الشرقية المقابلة للخطين الدفاعين المشار اليهما . ومع ذلك ، فان القائد التركي وجد انه لا قبل له بالصمود في وجه اي هجوم جديد فقرر سحب قواته من «تل اسود» الى «ام الطبول» .

وصلت بغداد

وفي غضون ذلك ، كانت فرقة الخيالة قد عادت ادراجها الى «دجلة» لغرض السقي بعد ان فشلت في الوصول الى طريق بغداد – المحمودية ، على ان يتم استئناف حركة الاحاطة والتطويق في اليوم التالي . ادت العاصفة الترابية الشديدة من

الجنوب الى الشمال الى اعماء المدافعين والمهاجمين على السواء وتعطيل مفعول اسلحتهم ففقدوا التماس • اما الفرقة السابعة المؤلفة من ثلاثة الوية الى يمين فرقة الخيالة بينها وبين «دجلة» فقد قررت مواصلة الزحف ، وهكذا انقضى نهار ١٠ اذار في تقدم بطيء ، الا ان الانكليز اكتشفوا بان الاتراك شرعوا في الانسحاب خاصة مع اقتراب المساء وحلول الظلام •

وتبين ، فيما بعد ، ان «خليل باشا» الذي ساورته المخاوف من ان اعداءه يمتلكون قوات احتياطية كبيرة تستطيع تطويق جيشه ووقطع خط الرجعة عليه وتدميره ، قد عقد مجلسا حربيا بعد الظهر مع قائد الفيلق وقادة الفرق وتقرر نتيجة لذلك اخلاء بغداد والانسحاب منها بالاستفادة من ساعات الظلام • وبعد وقت قصير من منتصف ليلة ١٠/١١ اذار ، أخذت النيران تضطرم في ارجاء مختلفة من المدينة مما يشير الى وجود عملية تدمير منتظمة للاسلحة والذخيرة التي يتعذر نقلها[١١] •

وفي الساعة الواحدة صباحا ، رفعت احدى الدوريات الامامية تقريرا مفاده ان خنادق الترك كانت خالية وانه لا يوجد اتراك في خنادق الدفاع عند جسر «النخر» الحديد • وبناء على ذلك استؤنف الزحف في الساعة الثانية في وجه اطلاقات متفرقة ومحدودة ، ولم تمر الا ثلاث ساعات ، حتى سقطت محطة القطار، وفي الساعة السابعة احتل الانكليز المنطقة السكنية في «الكرخ» والتي لم تكن لتتجاوز شمالي جسر الشهداء الحالي الا بمسافة قصيرة •

١١ ـ ومن الابنية التي نسفت بالديناميت تلك الليلة «باب الطلسم» الذي كان جزءا من سور بغداد الشرقي ويقال ان الترك اتخذوه مخزنا للاسلحة •

وما ان حل الظهر حتى دخلت طلائع فرقة الخيالة الى «الكاظمية» ، اما الاتراك فلم يبق لهم اثر • اندفعت بعض مفارز الفرقة السابعة عبر «دجلة» بواسطة القفف حيث رفعت العلم البريطاني على «السراي» او «القشلة» القائمة حتى الان في جانب الرصافة ، ثم نقل الى برج الساعة المطل على «دجلة» داخل السراي[12] •

نعود الى جبهة ديالى • ذكرنا ان المدافعين انسحبوا الى خط تل محمد - كرادة ، وكانت القوات الانكليزية قد انقسمت ليلة ١٠/١١ اذار الى رتلين ، شن الاول من اليسار ، هجوما على الخط الدفاعي التركي في الساعات الاولى من الصباح ليجد ان

---

١٢ - «ولكن الوقائع التالية اودت بالجيش التركي ، فقد جاء الانكليز بقوة اكبر ، وضربوا (شيخ سعد) ضربة قوية فلت منه ودمروا حصانته ، وهكذا مضت بوقائع تاليه ، ومتوالية بلا انقطاع وجرت حروب في انحاء (سلمان باك) للمره الثانيه • ورافقت هذه الحروب رياح قوية مع غبار كاد المرء لايرى فيه راحته فساعد هذا الريح الشرقي الزعزع ، وانتهت بواقعة (بغداد) وحادث سقوطها على يد الانكليز ، في ١١ اذار سنة ١٩١٧ م (١٧ جمادي الاولى سنة ١٣٣٥ هـ) الساعة ١٢ آذانية (ظهرا) •

ويهمنا ان نقول ان التدابير كانت ناقصة ، بل ان القيادة العامة قصرت في تفريق قسم كبير من الجيش = = المرابط لارساله الى ايران ، ولم تراع القوات الاحتياطية وكأنها بالاستيلاء على القوى المحاصرة في الكوت امنت الاخطار ومن ثم داهم الخطر فصال الانكليز جولة عظيمة ، فاكتسحوا الكوت ومنه الى سلمان باك فبغداد •

العراق بين احتلالين ، ٨٩٠ ، ص ٣٠٢ •

الاتراك اخلوه في غضون لليل ، بينما قام الرتل الاخر بحركة تطويق شمالا ثم الى الغرب ، فانتهى به الأمر الى دخول «بغداد» من «باب المعظم» نحو «خليل باشا جادەسي» وسط حيرة الاهالي ودهشتهم اذ تبدلوا من حال الى حال بين العشية وشروق الشمس ![13]

لقد فتحت صفحة تاريخية جديدة ، غير متوقعة ، لا تختلف كثيرا عن احدى الاساطير !

بيـــان « وردي »

هذا على الجبهة العسكرية ، فما الذي جرى في الساحة السياسية ؟ في ١٩ اذار صدر البيان التالي عن مقر قيادة الجنرال «مود» ونشر في بريطانيا ، وارجاء اخرى من العالم ، فيما بعد :

---

١٣ ـ وخلافا للرأي القائل بأن «مود» كان على رأس الرتل المذكور وهو من الخياله ، فان الوافع يشير الى ان القائد بعد ان تأكد من انسحاب الترك الشامل ، استقل مركبا حربيا سار به وهيئه اركان حربه الى المقيمية البريطانية سابقا في «السنك» واتخذها مقرا لقيادته واصدر اوامره بملاحقة الترك فورا ، وبدون توقف او هوادة ، على خطي «دجلة» شمالا و«ديالى» شرقا خوفا من ان اي تباطؤ قد يوفر الفرصة للعدو لاستعادة انفاسه وتجميع صفوفه ثم مهاجمة بغـــداد .



تقرير عن دخول الجنرال مود الى بغداد

الى اهالي ولاية بغداد

باسم مليكي ، وباسم الشعوب التي يحكمها ، اخاطبكم بما يلي : ان هدف عملياتنا العسكرية هو الحاق الهزيمة بالعدو ، واخراجه بعيدا عن هذه الاصقاع ، ولغرض انجاز هذه المهمة ، فانني مخول بالسلطة المطلقة والعليا في جميع الاقاليم التي تعمل فيها القوات البريطانية . غير ان جيوشنا لم تدخل الى مدنكم او اراضيكم بصفة فاتحين او أعداء ، بل محررين .

ومنذ ايام هولاكو ، كانت مدنكم واراضيكم عرضة لطغيان الاجانب ، فتحولت قصوركم الى خرائب وغرقت حدائقكم وسط التلف والدمار ، وتأوه اسلافكم واباؤكم في القيود والاصفاد . لقد انتزع منكم ابناؤكم الى حرب لم تسعوا اليها ، وسلبت منكم ثرواتكم على أيدي اناس ظلمة وبددت في اماكن نائية .

ومنذ ايام مدحت[١٤] ، تحدث الترك عن الاصلاحات ، ومع ذلك الا تشهد اطلال وخرائب اليوم على تفاهة تلك الوعود ؟

انها لرغبة ، ليس مليكي وشعوبه فحسب ، بل انها رغبة الامم العظيمة التي يتحالف معها ايضا ، في ان ترفهوا حتى كما كان امركم في الماضي ، عندما كانت اراضيكم خصبة ، وعندما قدم اجدادكم للعالم الادب والعلم والفن ، وعندما كانت بغداد واحدة من اعاجيب الدنيا .

---

١٤ ـ المقصود «مدحت باشا» احد ابرز الولاة العثمانيين على بغداد (من ١٨٦٨ ـ ١٨٧١) وكان مصلحا في عدة مجالات.

لقد كانت بين شعبكم وممتلكات عاهلي روابط وثيقة من المصلحة ، فطوال مائتي عام تاجر تجار بغداد وبريطانيا العظمى سوية في منفعة وصداقة متبادلتين • ومن الجهة الاخرى ، فان الالمان والترك الذين نهبوكم ، وقومكم ، قد اتخذوا من بغداد ، على مدى عشرين عاما ، مراكز للقوة يهاجمون منه سلطة بريطانيا وحلفاء البريطانيين في بلاد فارس وارض العرب ، ولهذا فان الحكومة البريطانية لا يمكن ان تظل مكتوفة الايدي تجاه ما يحدث في بلادكم ، سواء الان او في المستقبل ، ذلك انه من الواجب تجاه مصالح الشعب البريطاني وحلفائه فان الحكومة البريطانية لا يمكن ان تغامر وتسمح بأن يحدث في بغداد ، ثانية ، ذلك الذي قام به الاتراك والالمان خلال الحرب •

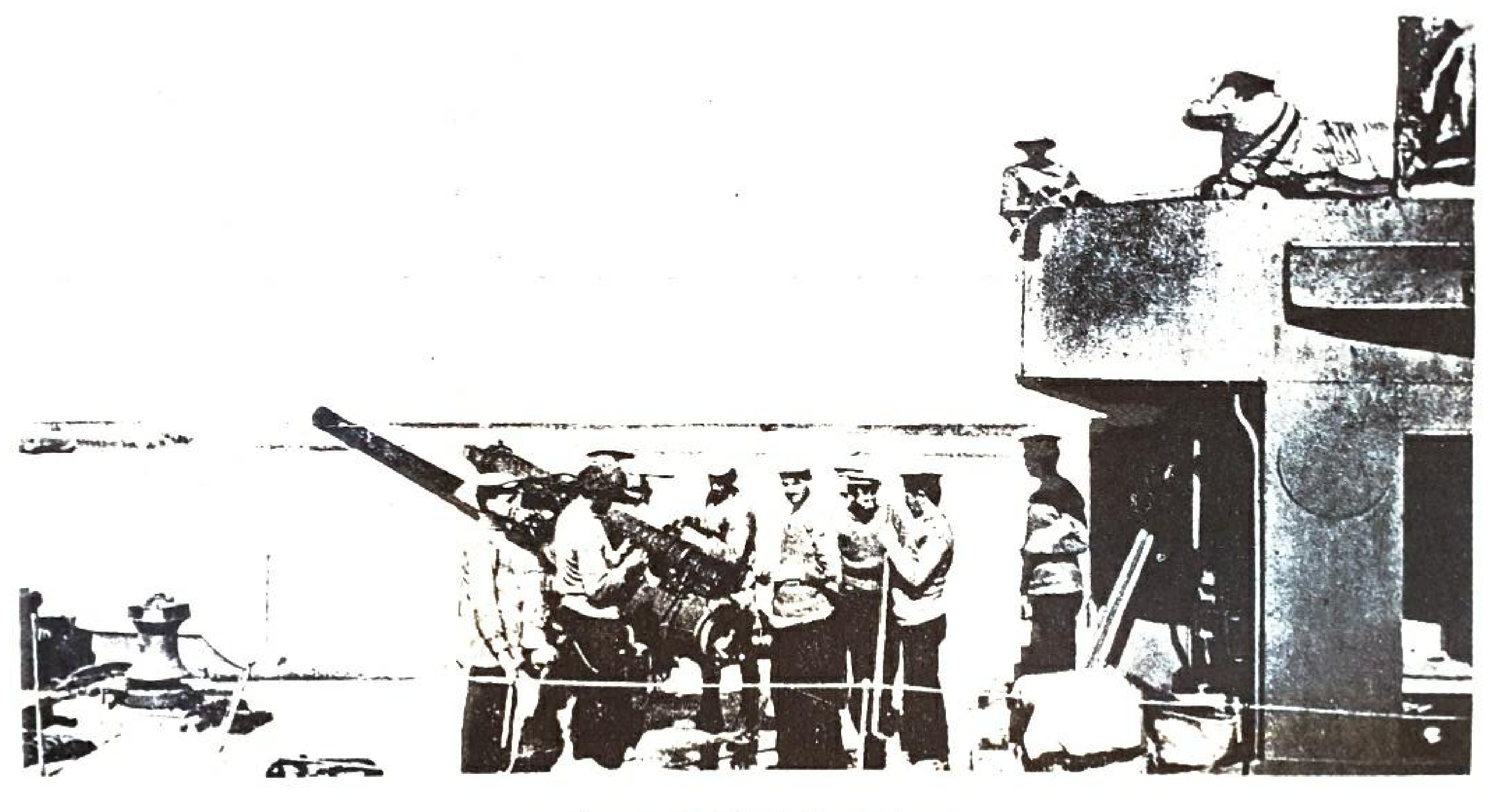
بيد انكم ، يا أهل بغداد ، يا من يجب ان تكون رفاهيتكم التجارية وسلامتكم من الطغيان والغزو مسألة تثير للابد اقصى قدر من اهتمام الحكومة البريطانية ، ينبغي عليكم الا تتصوروا انه من رغبة الحكومة البريطانية ان يفرض عليكم انظمة عربية • ان الحكومة البريطانية تأمل في تحقيق آمال فلاسفتكم وكتابكم ، وان يزدهر شعب بغداد ثانية متمتعا بثروته وممتلكاته في ظل انظمة تنسجم مع قوانينه المقدسة ومطالحه العنصرية • في الحجاز ، قام العرب بطرد الترك والالمان الذين اضطهدوهم واعلنوا تنصيب الشريف حسين ملكا عليهم • وسيادته يحكم باستقلال وحرية ، وهو حليف الامم التي تقاتل ضد سلطة تركيا والمانيا ، وكذلك الحال مع النبلاء الاخرين ، سلاطين الكويت ونجد وعسير •

لقد ذوى العديد من النبلاء العرب من اجل قضية الحرية العربية على ايدي اولئك الحكم الغرباء ، الترك ، الذين اضطهدوهم ، وانه لمن تصميم حكومة بريطانيا العظمى ، والدول المتحالفة معها ، الا تدع ما عاناه اولئك العرب النبلاء يذهب عبثاً وانه لمن أمل الشعب البريطاني والامم المتحالفة معه ان ينهض العنصر العربي مرة اخرى الى العظمة والشهرة بين شعوب الارض ، وانه سيربط نفسه مع هذا الهدف بوحدة وانسجام •

يا اهالي بغداد : تذكروا انكم تعرضتم ، طوال ستة وعشرين جيلا ، الى المعاناة في ظل الطغاة الغرباء الذين سعوا دوما من اجل تحريض بيت عربي ضد آخر حتى ينتفعوا من الانقسامات • ان هذه السياسة بغيظة بالنسبة لبريطانيا العظمى وحليفاتها ، ذلك انه لن يكون هناك سلام ولا رفاهية حيث توجد العداوة وسوء الحكم • وعلى هذا ، فقد امرت بان ادعوكم ، من خلال وجهائكم واكابركم وممثليكم ، للمشاركة في ادارة شؤونكم المدنية الخاصة بالتعاون مع الممثلين السياسيين لبريطانيا العظمى الذين يرافقون الجيش البريطاني ، وبهذا قد تتحدون مع ابناء عنصركم وأقاربكم في الشمال والشرق والغرب والجنوب في تحقيق تطلعات عنصركم •»(١٥)

١٥ – The Long Road ta Baghdad, pp. 114 — 116.

ومن الغريب ، ان البيان قد وضع من قبل السير «مارك سايكس» الذي وقع ، بعد اقل من شهرين ، على اتفاقية «سايكس – بيكو» مع الفرنسيين والتي ادت الى تمزيق الاقطار العربية التي تخلصت من الترك واستعبادها •



دورية نهرية في الطريق الى بغـــداد

اجمعت المصادر البريطانية ، بالذات على ان هذا البيان لم يكن ليحتوي على اي وعد لاهالي بغداد ولنأخذ هذا المثال : «وما من احد ساوره الاعتقاد ، ولو لحظة واحدة ، ان هذا البيان كان صادرا عن جندي ، ناهيك عن قائد الجيش ذاته • لقد ديلوماسية البيان ونوعيته الادبية البديعة استحسان الصحافة بشكل عام، كان الالهام من الوايتهول(١٦) غير انه بغض النظر عن مصدر البيان ، فان الغموض فيما يتعلق بمستقبل بلاد ما بين النهرين ، كان امرا لا مفر منه ، ذلك انه قد تم الاتفاق بين الحلفاء على عدم اجراء أية تسوية الى أن تطلق الرصاصة الاخيرة في الحرب •»

وعلى أية حال فان الايام سترينا ما يخفيه القدر لاهالي بغداد ، الذين لانعرف رد فعلهم تجاه بيان «مود» وعباراته «الوردية»حسب رأي احد المؤلفين الانكليز ، وما سيقوم به الممثلون السياسيون تجاههم ، واهل العراق ، عن طريق الوجهاء والاكابر وسنعرف النوعية التي حددها البريطانيون للفئة الاخيرة ••

---

١٦ ـ وزارة الخارجية البريطانية •



الجنـود الانكليز في بغـداد

الحكايـــة الرابعـــة
لورنس وثـورة العشـرين

في ٢٠ حزيران ، ١٩٢٠ ، اندلعت ثورة الشعب العراقـــي ضد الاحتلال الانكليزي ، وبعد ثلاثة اسابيع اطاح الفرنسيـــون بالحكومة العربية في دمشق واسقطوا الملك «فيصل» واخرجـوه من البلاد بعد معركة «ميسلون» التي جرت ضدهم في ٢٥ تمـوز واستشهد فيها وزير الدفاع «يوسف العظمة» وبدد شمل الجيش السوري الصغير الحديث .

كان «لورنس» رجل المخابرات البريطانية المعروف بدوره في ثورة الحجاز ضد العثمانيين بقيادة «حسين» شريف مكة والتي قامت في حزيران ١٩١٦ ، كان في غضون ذلك ضابطا برتبة ليفتانت كولونيل[1] في قسم المخابرات في الجيش البريطاني • ولم يلبث ان ترك الحياة العسكرية حتى يتفرغ لوضع كتابه «اعمدة الحكمة السبعة» كما ان صفته المدنية هذه فسحت له المجال لمراسلة عدد من الصحف الانكليزية مبديا رأيه في القضايا الملحة لعالم ما بعد الحرب العالمية الاولى خاصة المتعلقة بالمنطقة العربية •

كارثـــة:

والذي يهمنا هنا موقفه من سياسة حكومة بلاده تجاه ثورة العشرين والحلول التي طرحها ومدى تطبيقها ، او تطبيق بعضها، في الشهور التالية كما سيأتي الحديث في الوثيقة التالية التي حصلنا عليها مؤخرا ، وهي رسالة موجهة من «لورنس» الى صحيفة «الصندي تايمز» اللندنية بتاريخ ٢٢ اب ، ١٩٢٠ ، في غضون احتدام الثورة العراقية ضد الانكليز •

والرسالة معنونة بما يلي : «بلاد ما بين النهرين» ، الحقيقة حول الحملة اضاعة للحياة والمال ، اننا اليوم غير بعيدين عن الكارثة ، «بقلم اللفتنانت كولونيل السابق تي • اي ، لورنس زميل كلية أول سولز ، اوكسفورد ••»

---

١ ــ مقــدم •



لورنس

وقد قدمت الصحيفة الرسالة بالعبارات الاتية : «كتب المستر لورنس ، الذي كان تنظيمه وتوجيهه للحجاز ضد الترك واحدا من ابرز القصص الخيالية للحرب ، هذا المقال بناء على التماسنا لغرض جعل الرأي العام على علم تام بالتزاماتنا في بلاد ما بين النهرين .

العقداء الثلاثة

«لقد استدرج اهل انكلترا في بلاد ما بين النهرين الى فخ سيكون من الصعب الخلاص منه بكرامة وشرف ، ولقد دفعوا للوقوع فيه غدرا نتيجة للكتمان المتواصل للمعلومات ، ان بلاغات بغداد[٢] متخلفة ، وبعيدة عن الصدق وناقصة ، فالامور اسوأ كثيرا مما جرى اخبارنا عنه ، وادارتنا اكثر دموية وادنى كفاءة مما يعرف الجمهور ، انها لفضيحة بالنسبة الى سجلنا الامبراطوري[٣] وقد تخرج بعد وقت قصير عن نطاق كل علاج ، اننا اليوم لسنا بعيدين عن كارثة .

«ان آثام المهمة تقع على عاتق السلطات البريطانية المدنية في بلاد ما بين النهرين (وخاصة تلك التي ارتكبت من جانب العقداء الثلاثة .)[٤] التي اعطت حرية العمل في لندن . انها لا تخضع

٢ ـ عن ثورة العشرين .

٣ ـ لا ندري الغاية من هذا التعبير ولعله يقصد ان الفضيحة تدور حول ان الثورة شملت العراق بأسره تقريبا مما يكشف جهل سلطات الاحتلال بحقيقة الوضع .

٤ ـ هم «ارنولد ولسون» نائب الحاكم الملكي العام في العراق الذي حطمت الثورة حياته السياسية «ليجمان» الذي قتله الشيخ «ضاري المحمود» في «خان النقطة» بين بغداد والفلوجة عام ١٩٢٠ ، والكولونيل «هاول» .

لاية دائرة من دوائر الدولة ، بل تدار في المجال الفارغ الـــذي يفصل وزارة الخارجية عن وزارة شؤون الهند[٥] ، لقد استغلوا ضرورة حرية الخيار الناجمة عن ظروف زمن الحرب ليستمروا في التمتع باستقلالهم المبطن بالخطر في زمن السلم .

«وهم يناهضون كل اقتراح عن الحكم الذاتي الحقيقي[٦] يرسل لهم من الوطن[٧] ، لقد وضع مؤخرا بلاغ عن الحكـم الذاتي دون ان يكون مصحوبا بأي عمل من جانب بغداد ونشر ووزع هناك على عجل وذلك للحيلولة دون بيان اكثر حريـــة يجري اعداده في لندن .[٨]

مسؤولية مجلس الوزراء[٩]

«ان مجلس الوزراء لا يستطيع التنصل مــــن مجمــــل المسؤولية فهم[١٠] يحصلون على المعلومات التي لا يمكن وصفها الا بأنها تزيد قليلا على ما يصل الرأي العام : يجـب عليهـم ان يصروا على المزيد والافضل ، لقد ارسلوا وجبة بعد اخرى مــــن

---

٥ ـ ساد التناقض بين الوزارتين زمنا طويلا حول السياسة تجاه مستقبل العراق .

٦ ـ لا ندري من ارسل تلك الاقتراحات .

٧ ـ بريطانيا .

٨ ـ تعبير مجرد كلية من اي معنى .

٩ ـ من الان فصاعدا ، فان جميع العناوين الفرعية من وضـــع لورنـــس .

١٠ ـ يتكلم الانكليز بصيغة الجمع عن الحكومة .

التعزيزات دون سؤال او تحقيق ، وعندما وصلت الامور من السوء والتدني حدا لا يمكن تحمله ، قرروا ان يعهدوا بمنصب المندوب السامي الى المؤسس الاصلي للنظام الحالي[١١] مع رسالة استرضائية للعرب تقول بان قلبه وسياسته قد تبدلا .»

والان ، لنتوقف قليلا عن كلام لورنس وننتقل الى موضوع الرسالة الاسترضائية : «منشور الى جميع طوائف العراق وعشائرها .

ان فخامة نائبا للملك ، السير بيرسي كوكس ، يعلن لجميع افراد العشائر وطوائف العراق ، بأن حكومة بريطانيا العظمى قد انتدبته ليعود الى العراق لتنفيذ مقاصد الحكومة الثابتة ، بمساعدة رؤوساء الامة ، وتشكيل حكومة وطنية في العراق بنظارة حكومة بريطانية ، ولقد يصعب جدا على فخامته تنفيذ منويات[١٢] الحكومة البريطانية ، ما دامت بعض اقسام العشائر والطوائف في العراق تعادي الحكومة .

ويظن ان الاحوال الحاضرة تندت عن الشكوك الواهية التي تخامر افكار بعض طبقات الامة في نوايا الحكومة البريطانية . ويعتقد فخامته بتوصله لازالة كل شك او ريبة خامرت افكار الذين قابلوه حتى الان ، ولا يعلم فخامته غرض العشائر الذين

---

١١ ـ السير بيرسي كوكس ، الذي سبق له العمل مع قوات الاحتلال حتى عام ١٩١٧ عندما دخل بغداد مع هذه ، ثم انتقل الى طهران اواخر ذلك العام تاركا منصبه للكولونيل «ولسون» .

١٢ ـ نوايا .

يشغلون انفسهم بالحرب ، فاذا كانت هناك سوء نية مفهومة يمكن ازالتها ، فيسر فخامته ان يبلغ العشائر ذلك اليه بواسطة اقــرب حاكم سياسي .»[١٣]

نعود الى لورنس :

«ومع ذلك ، فان سياستنا المعلنة لم تتبدل وليست بحاجة الى تبديل ، فالعلة ان هناك تناقضا يبعث على الاسى بين مهمتنا واساليبنا التطبيقية : قلنا بأننا ذهبنا الى بلاد ما بين النهرين لالحاق الهزيمة بتركيا ، وذكرنا اننا بقينا (هناك) لانقاذ العرب من اضطهاد الحكومة التركية ولنوفر امام العالم مضادره (العراق) من الغلال والنفط .

«لقد ضحينا بقرابة مليون رجل ووقرابة الف مليــون (جنيه استرليني) من المال لهذا الغرض ، «وفي هذا العام فاننــا كرسنا اثنين وتسعين الف رجل وخمسين مليونا من المال للغرض نفسه .

اسوأ مـن الترك

«ن حكومتنا اسوأ من النظام التركي القديم ، فقد ابقــوا على اربعة عشر الف مجند محلي في حالة استنفار وقتلوا ما معدله مائتي عربي سنويا ، اننا نحتفظ بتسعين الـف جندي ، مــع الطائرات ، والسيارات المدرعة والزوارق الحربية والقطـارات المصفحة .

---

١٣ ــ العراق ٢٦ــ١١ــ١٩٢٠ .

لقد قتلنا حوالي عشرة الاف عربي في هذه الانتفاضة هذا الصيف ، اننا لا نأمل في الابقاء على هذا المعدل : فهي بلاد فقيرة ، قليلة السكان ، غير ان عبدالحميد سيصفح لاعوانه(١٤) لـــو وقعت عيناه على ما نقوم به .

يجري اخبارنا بأن هدف الانتفاضة سياسي ، غير انه ما من احد يخبرنا بما يريده النّاس ذوو العلاقة ، فقد قال احد الوزراء في مجلس اللوردات بانه يجب ان يكون لدينا هذا العدد مـــن



سيارة عسكرية تجتاز جدولا قرب الحلة

١٤ ـ اشارة الى اتهام السلطان العثماني بالطغيان .

القوات لان الناس المحليين يرفضون التطوع ، وفي يوم الجمعة تعلن الحكومة عن موت بعض الليفي[١٥] المحليين دفاعا عن ضباطهم البريطانيين وتقول بأن خدماتهم لم يعترف بها لانهم قليلون جدا ، وهناك سبعة الاف منهم ، اي نصف قوة الاحتلال التركية القديمة تماما •

« ولو جرى ضبطهم وتوزيعهم بشكل مناسب فانهم سيحلون محل نصف جيشنا هناك ، لقد ضبط كرومر[١٦] الستة ملايين من سكان مصر (آنذاك) بخمسة الاف جندي بريطاني ، بينما اخفق الكولونيل ولسون في السيطرة على الثلاثة ملايين من شعب بلاد ما بين النهرين بتسعين الفا من الجنود •

التزاماتنا العسكرية

«اننا لم نصل بعد الى نهاية التزاماتنا العسكرية ، فقبل اربعة اسابيع قدمت هيئة الاركان في بلاد ما بين النهرين مذكرة طلبت فيهااربع فرق اخرى ، اعتقد انها رفعت الى وزارة الحرب التي ارسلت ثلاثة الوية من الهند ـ واذا لم يكن بالمستطاع زيادة تعرية الحدود الشمالية ـ الغربية[١٧] ، فمن اين ستأتي القوة البريطانية ؟

---

١٥ ـ قوات تالفت في البداية من صفوف عشائر الناصرية باسم «فرسان المنتفك» ثم تحولت الى «الشبانه» واخيرا «الليفي»•

١٦ ـ حاكم مصر من احتلالها عام ١٨٨٢ حتى استقالته عام ١٩٠٢

١٧ ـ منطقه هنديه اشتهرت باستمرار خروجها على السيطرة البريطانية •

«وفي غضون ذلك ، فان قواتنا المنكودة الحظ ، هندية وبريطانية ، وفي ظل الظروف القاسية للمناخ والتموين لتحافظ على الامن في منطقة شاسعة ، وتدفع الثمن الغالي من القتلى يوميا من اجل سياسة خاطئة بشكل متعمد للادارة المدنية في بغداد . لقد اعفي الجنرال(داير)[١٨] من قيادته في الهند جراء خطأ ابسط من هذا بكثير ، غير ان المسؤولية في هذه الحالة لا تقع على عاتق الجيش الذي تصرف فقط بناء على التماس السلطات المحلية ، ولقد بذلت وزارة الحرب كل جهود لتخفيض عدد قواتنا ، غير ان قرارات مجلس الوزراء كانت ضدها .



القوات البريطانية تزحف نحو الكوفة

---

١٨ ـ ضابط انكليزي مسؤول عن مقتل ٣٧٩ من المتظاهرين الهنود في بلدة «امرستار» في ١٣ نيسان ١٩١٩ مما كان سببا في اشتداد حملة التحرر الوطني في الهند بزعامة حزب المؤتمر

«ان الحكومة في بغداد تقوم بتعليق العرب على اعواد المشانق في تلك البلدة جراء جنح سياسية ، تدعوها باسم تمرد ، ان العرب ليسوا متمردين ضدنا ، فهم مازالوا رعايا تركيا من الناحية الرسمية .

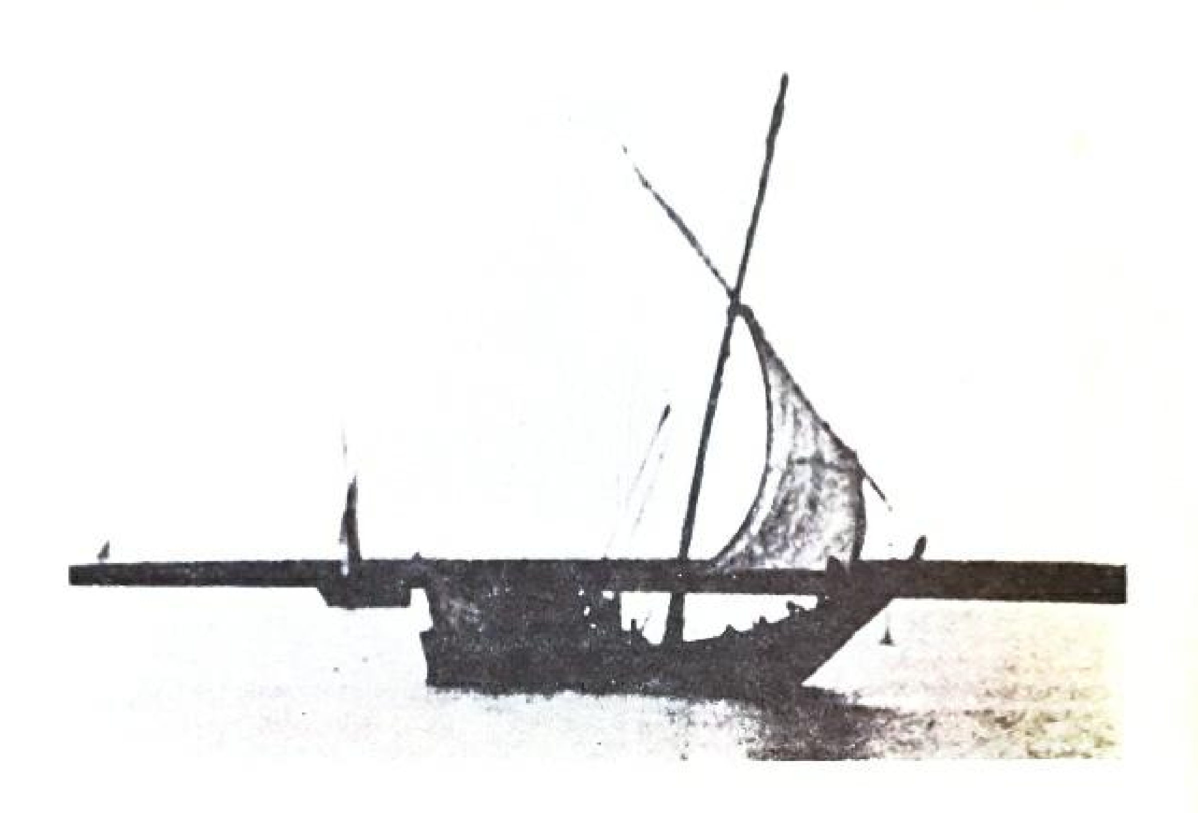
«هل ان اعمال الاعدام غير القانونية هذه موجهة لاستثارة العرب للقيام بعمليات انتقام من الاسرى البريطانيين الثلاثمائة الذين في حوزتهم ؟ واذا كان الامر كذلك ، فهل ان عقوبتهم ستكون اشد قسوة ، او هل أنها تهدف الى اقناع قواتنا لتقاتل حتى النهاية ؟

لمصلحة من ؟

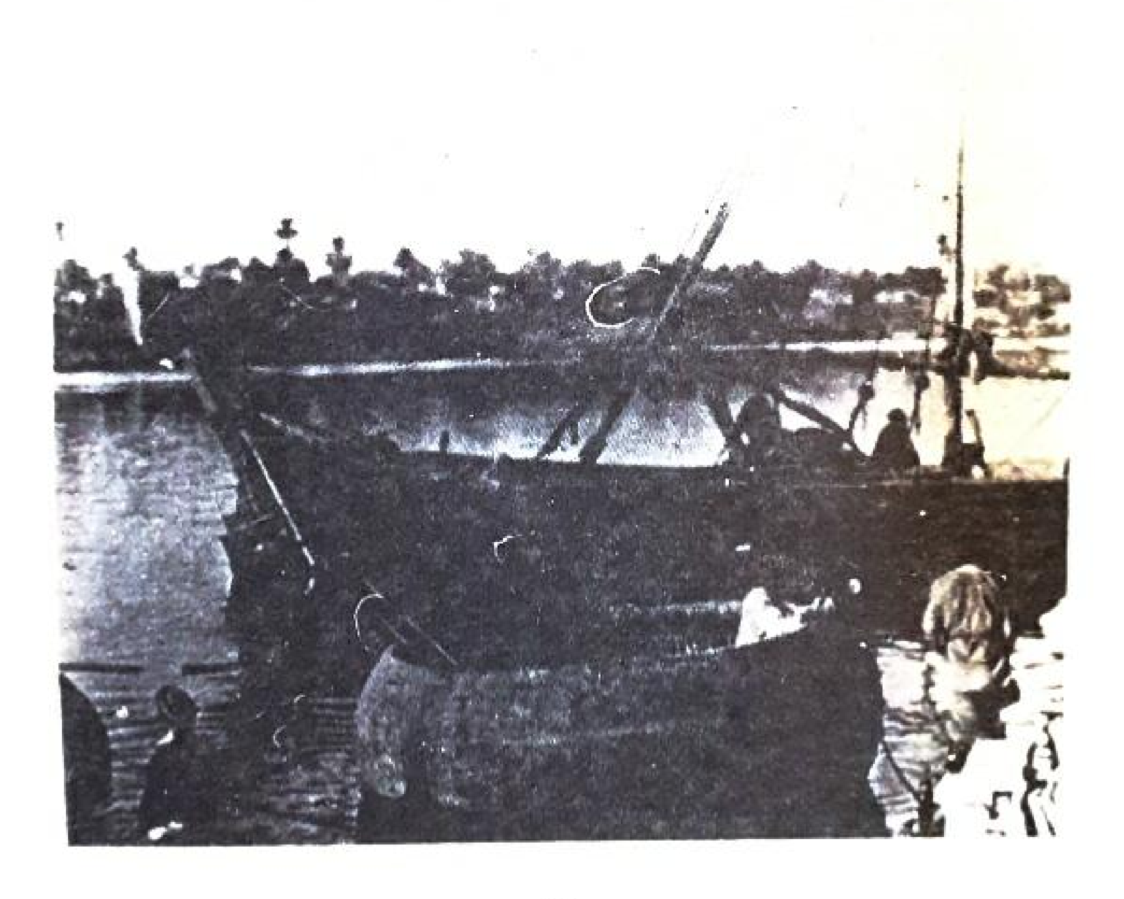
«اننا نقول بأننا موجودون في بلاد ما بين النهرين لتطويرها لمنفعة العالم ، ويقول جميع الخبراء بان توفر الايدى العاملة هو الامر الحاسم في تطورها ، فالى اي مدى سيؤدي قتل عشرة الاف من القرويين وسكان المدن هذا الصيف الى عرقلة انتاج الحبوب ، والقطن والنفط ؟ الى متى سيفسح المجال امام التضحية بملايين العرب ، نيابة عن شكل من الادارة الاستعمارية لا تنفع احدا سوء اداريها ؟»(١٩)

---

١٩ ـ The Sunday Times (London) Angust 22, 1920.



مركب نهري ينقل المعدات العسكرية البريطانية



من رسالة «لورنس» هذه تتضح ثلاث حقائق :

اولا : عظمة ثورة العشرين وسعة انتشارها رغم الحشود الهائلة من القوات الانكليزية والهندية والمرتزقة المحليين وعمليات البطش ضد الثوار وحتى الاهالي المسالمين .

ثانيا : انه يؤيد الاستمرار في استغلال غلال ، ونفط وقطن العراق .

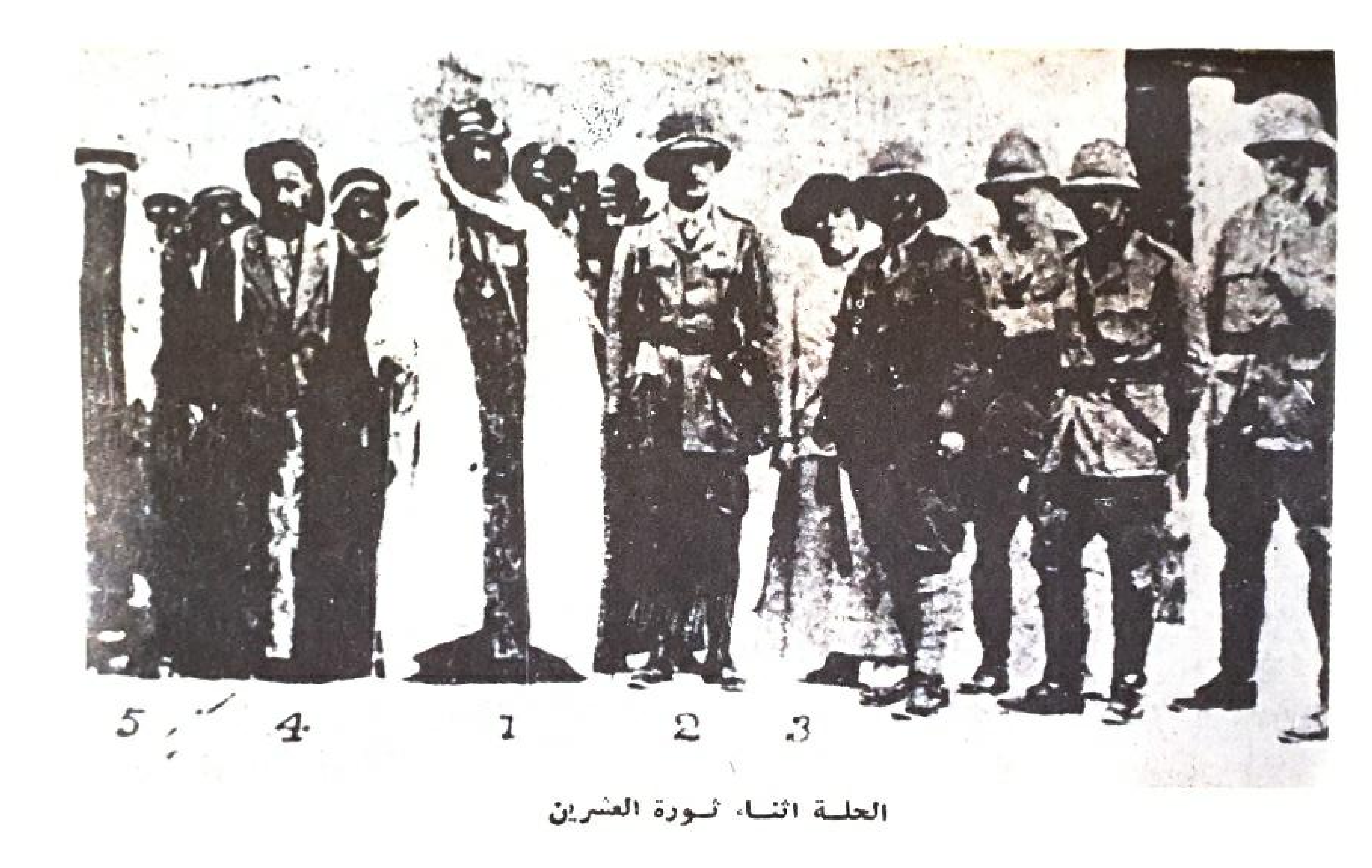
ثالثا : التوصل الى حل سياسي للوضع الذي اوجدته سلطات الاحتلال بقيادة «ولسون» بالذات اي اعادة ترتيب الوجوه.

فما هو الدور الذي لعبه «لورنس» في تنفيذ جانب من هذا الحل السياسي ؟ عاد السير «بيرسي كوكس»(٢٠) الى بغداد في ٢٠ ايلول ١٩٢٠ واستطاع اقناع «عبدالرحمن النقيب» كبير اشراف بغداد بتشكيل حكومة مؤقتة من الوجهاء المحليين وان ظلت السلطة الحقيقية بأيدي مستشاري الوزارات من الانكليز ، وبقيت امام المندوب السامي تنفيذ ثلاث مهام اخرى هي اختيار جمعية تأسيسية ورئيس للدولة وفرض صك الانتداب ، بيد أن لورنس لم يساهم الا في المسألة الثانية .

كان المؤتمر السوري والمؤتمر العراقي اللذان انعقدا بدمشق في اذار ١٩٢٠ ، قد رشحا الامير «فيصل» ملكا على سوريا ،

---

٢٠ ـ ويبدو من الوثائق المتوفرة ان «كوكس» لم يكن يعرف بالضبط اسم المرشح النهائي لحاكمية العراق من العرب .



الحلة اثناء ثورة العشرين

كما ان المؤتمر العراقي[٢١] الذي اجتمع في دمشق ذلك الوقت وضم الضباط العراقيين في الجيش العربي السوري قد اختـــار شقيقه «عبد الله» لامارة او ملوكية العراق • فشرع دعاة هـــذا الاخير في ممارسة نشاط في عدد من الاوساط العراقية لهـــذا الغرض وان لم يلق ذلك الا استجابة ضيقة للغاية ، ولم يلبث اسقاط «فيصل» من جانب الفرنسيين ان ادخل تطورا جديدا على الامـور •

ذلك ان «لورنس» سرعان ما اخذ ببث الدعوة لمصـــلحة اختيار «فيصل» للعرش العراقي ، مؤكدا في ذات الوقـــت ، ان الامير لم ينل الانصاف اللازم جراء ما قام به الى جانب الحلفـــاء اثناء ثورة الحجاز التي امتدت الى الشام •

---

٢١ ـ وهذه بعض اسماء اعضاء المؤتمر العراقي (الذي عقـــد في دمشق في ٨ اذار ١٩٢٠) الذين حضروا انذاك :
جعفر العسكري ـ سعيد المدفعي ـ تحسين علي ـ اسماعيل نامق ـ سامي الاورفلي ـ فرج عمارة ـ ناجي الســـويدي ـ توفيق السويدي ـ يونس وهيبي ـ حمدي صدر الدين ـ احمد رفيق ـ نوري القاضي ـ رشيد الهاشمي ـ صبيح نجيب ـ محمد رضا الشبيبي ـ محمد اديب ـ عـــزت الكرخي ـ عبداللطيف الفلاحي ـ توفيق الهاشمي ومحمد البسام •

مندوبو الموصل : علي جودت ـ عبدالله علي الدايمي ـ جميل محمد (المدفعي) مكي الشربتي ـ ابراهيم كمال ـ ثابت عبدالنور ـ الحاج محمد خيري (خيرو) •
ذكريات علي جودت • ص ٨٦ •

تبدل في المواقف

وفي الاول من تشرين الاول ، ١٩٢٠ ، ظهر مقال في مجلة الجيش المعروفة باسم «آرمي كوارترلي» بقلم «لورنس» نفسه وبعنوان : «تطور ثورة» ابرز فيه دور فيصل في الثورة المذكورة وتحدث بالتفصيل عن اعماله الشخصية فيها .

وكان لهذه الحملة الاعلامية دورها في ترجيح كفة «فيصل» على «عبدالله» كما انها فتحت الباب امام حسم الموقف لمصلحة الاول بالنسبة الى المرشحين المحليين وغيرهم .(٢٢)

---

٢٢ ـ التفاصيل الممتعة عن هذا الموضوع في الحكاية التالية .

الحكايـــة الخامســة

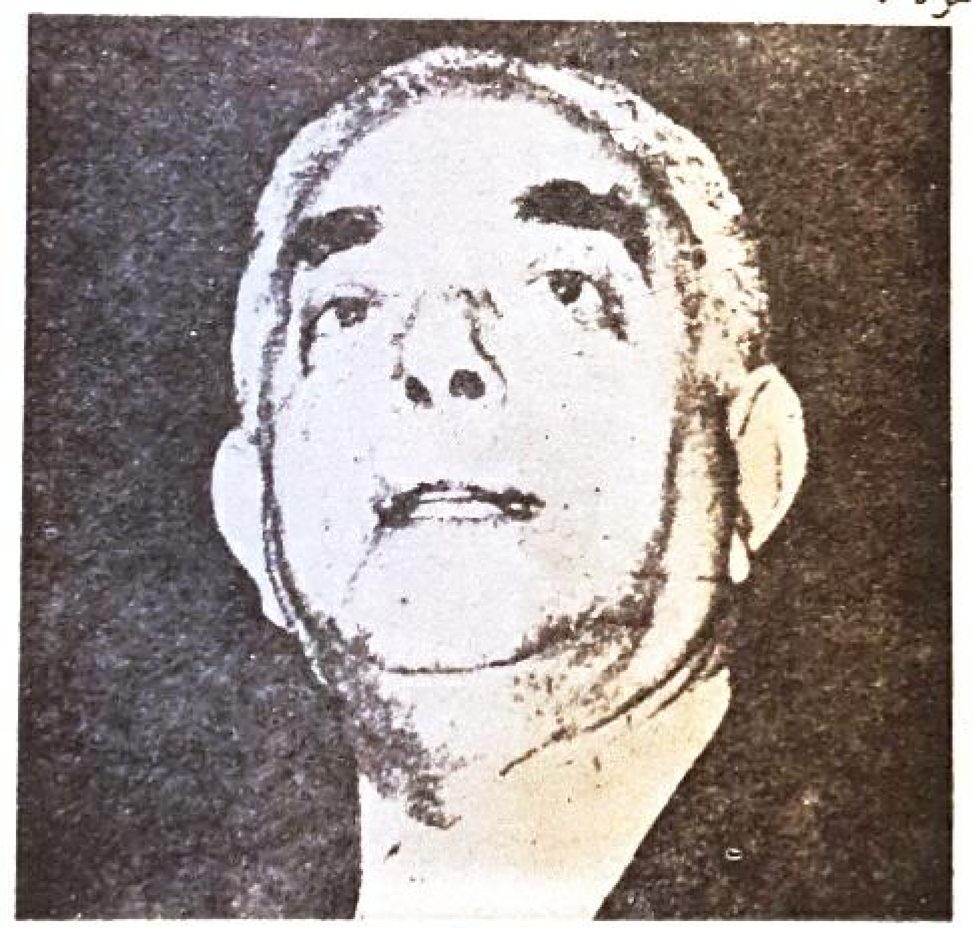
الجنــرال وعــرش العــراق

في ٢٥ تموز ، ١٩٢٠ جرت معركة ميسلون بين القـوات الفرنسية القادمة من «لبنان» بقيادة الجنرال «غورو» والجيـــش العربي السوري الذي اصر وزير الدفاع «يوسف العظمة» عـلى ان يخوض،معه معركة غير متكافئةوان يكون هو بالذات على رأسه.

ومن المنطقي ان تنتهي مقاومة جيش سوريا بأسرع وقت ، فتشتت شمله ونقي «العظمة» وجه ربه في ساحة الوغى ودفن في

نفس المكان اما «غورو» فقد استمر في الزحف حتى دخل «دمشق» بعد ظهر نفس اليوم الذي انتهى فيه أجل الانذار الموجه الى «فيصل بن الحسين» ملك «سوريا» بوجوب ترك البلاد.

غادر «فيصل» العاصمة ومعه عدد من اعوانه بالقطار الى «درعا» المحطة الصغيرة على مقربة من الحدود مع «شرقي الاردن» ومنها توجه الى «حيفا» في فلسطين حيث ابحر الى «الاسكندرية» وهناك التحق به «نوري السعيد» الذي كان قد سبق فيصلا الى القاهرة.(١)



نوري السعيد

١ - ويقول «تحسين قدري» رئيس التشريفات الملكية في العراق فيما بعد انه كان الوحيد مع «فيصل» طوال الرحلة المذكورة.

(من المقابلة في ٧-٤-١٩٨١)

ولم يكن الملك السابق الذي اصبح الان يعرف باسم «الامير» ليعرف الى اين يتوجه ، وبعد طول تفكير توجه الى لندن ليطالب الانكليز بتنفيذ الوعود التي اعطاها اللورد «مكماهون»[٢] لوالده الملك حسين عام ١٩١٦ بشأن استقلال الدول العربية ، ثم اتجه الى ايطاليا حيث استقر في منتجع قريب من بحيرة «كومو» على مقربة من ميناء «نابولي» بانتظار تطور الاحداث .

نقيبان

في غضون ذلك ، أخذ مد ثورة العشرين العراقية بالتراجع والانحسار ، واتجهت نية الحكومة البريطانية الى اقامة حكم اهلي استرضاء للعراقيين تمهيدا لما يلي :

اولا : انتخاب جمعية تأسيسية تأخذ على عاتقها مهمة اختيار رئيس الدولة المقبل .

ثانيا : او اختيار الرئيس المطلوب على ان يعقبه انتخاب الجمعية لاقرار صك الانتداب الذي فوضته عصبة الامم[٣] عام ١٩٢٠ لبريطانيا سواء بشكل مباشر او ادخاله ضمن معاهدة مع العراق تكون واجهتها الاقرار بالاستقلال الظاهري للاخير .

في اوائل تشرين الاول ، عاد «جعفر العسكري» الى بغداد واصبح وزيرا للدفاع في حكومة «عبدالرحمن افندي» نقيب

---

٢ ـ نائب الملك في مصر .

٣ ـ تشكلت بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى ، ثم ذوت من الوجود مع اندلاع الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ وحلت الامم المتحدة محلها سنة ١٩٤٦ .

اشراف العاصمة الذي استطاع السير «بيرسي كوكس» المندوب السامي الجديد الذي قدم الى العراق في نفس الوقت تقريبـــا لتنفيذ السياسة الجديدة للحكومة البريطانية تجاه بلاد ما بـــين النهرين ، أن يقنعه بتشكيلها في ٢٥ تشرين الاول ايضا •

بعد هذا اصبحت المسألة حائرة بين انتخاب الجمعيـــة التأسيسية واختيار رئيس الدولة • ولم يكن المندوب السامي وبعض



تشـــرشـــل

معاونيه قد كونوا فكرة واضحة عن الشخص الذي تريده لندن لهذا الغرض ، الا ان الاحداث رشحت مجموعة اشخاص من ابرزهم اثنان :

١ - طالب النقيب ، وزير الداخلية في الحكومة المؤقتة واقوى شخصية عراقية ذلك الحين والذي يشعر الجميع بالذعر والخوف منه لسجله السابق في الارهاب والبطش ايام السيطرة العثمانية في البصرة وعدم تورعه عن اللجوء الى ذلك اذا تطلبت الامور منه سلوك هذا السبيل . أما أن يكون «طالب» ملكا او رئيسا للجمهورية ، فأمر لا يهمه بقدر استحواذه على السلطة كاملة ، او هكذا كان يتصوره

٢ - بوجود «فيصل» المنفي بدون عرش في ايطاليا ، قامت حملة في بريطانيا تزعمها «لورنس» رفيقه السابق في السلاح ايام الثورة الحجازية ، تدعو الى «انصافه» لقاء ما قدمه لقضية الحلفاء ايام الحرب ضد الترك وانه الاصلح من غيره لتولي عرش العراق[٤] . ومن الطبيعي ان هذه الحملة التي بلورت اتجاها لمصلحة فيصل في «الوايتهول»[٥] لم تكن لتجري بمعزل عن الاتصال مع الملك السابق والاتفاق معه على طريق المستقبل .

---

٤ - كان المؤتمر العراقي الذي عقد في دمشق في شباط ١٩٢٠، قد رشح الامير «عبدالله» شقيق فيصل لملوكية العراق .

٥ - وزارة الخارجية البريطانية .



فيصل الاول

ولم تكن هذه الاحداث بعيدة عن اسماع «جعفر» عدو «طالب» اللدود[٦] ، والمقاتل المخضرم في صفوف الثورة العربية تحت راية الشريف وانجاله ، وفي مقدمتهم «فيصل» ، ولا عن اعوانه في بغداد • غير ان الحزب الفيصلي كان بحاجة الى دعم سياسي ومادي يمكن ان يلقي ثقله خلف الدعوة للشريف ويحسم الامور باتجاه القضاء على «طالب» مرة والى الابد.[٧]

٦ ـ وبشأن هذا الموضوع ، كتبت «جير ترود بيل» المستشارة الشرقية لدار الاعتماد البريطاني تقول بتاريخ ٣ تشرين الثاني ١٩٢٠ : «ولقد رفعت صعوبة اخرى رأسها الان ـ جعفر باشا الذي اجريت معه محادثة غير اعتيادية الى حد • اخبرني انه دخل مجلس الوزراء لمجرد الحاق الهزيمة بطالب ، الذي يضمر له المقت ويبادله عدم الثقة ، ويرى انه من العار ان يكون واحدا من الاشخاص البارزين في بلاد ما بين النهرين ، قلت ان اهل البلاد انفسهم يتحملون مسؤولية خلقه ، انطلاقا من خوفهم وخنوعهم وان الامر متروك لهم للتخلص منه اذا ارادوا ذلك •»

Elizaleth Burgoyne, Gertrude Bell from her Personai Papers, p. 178 .

٧ ـ وبهذا الصدد نورد الخبر التالي مع ملاحظة تاريخه : «يجوب الامير فيصل العواصم الاوربية وهو اليوم في لندن يطالب الحكومة الانكليزية بتنفيذ عهودها • ويظهر ان بعض رجال الانكليز • يميلون لاستخدامه في تنفيذ مآربهم في الشرق ، فقد كتبت جريدة المورننغ بوست مقالا ارتاحت فيه الى ترشيح الامير فيصل ملكا على العراق •»

مجلة «دار السلام» البغدادية في ٦ـ٢ـ٢١ نقلا عن جريدة «زحلة الفتاة» اللبنانية •

حــل النــزال

ففي ١٣ شباط ١٩٢١ ، ظهر ما يلي بأحدى جرائـــد العاصمة :

الجنرال نوري باشا السعيد

لمراسل جريدة (الحرية) البيروتية في دمشق •

بلغني من مصدر اثق بصحة روايته ان الجنرال نــوري باشا السعيد ارسل بالامس برقية مستعجلة من ايطاليا الى الجنرال ياسين باشا الهاشمي[٨] هذا معناها :

«وافوني مع جميع اخواني العراقيين بدون استثناء الــى السويس فقد تشكلت الحكومة العراقية حسب المرغوب •»[٩]

ويقول مخبري ان العراقيين قد اجتمعوا في الليلة المذكورة في منزل ياسين باشا وتباحثوا معه مليا في نص هذه البرقيــة وأجمعوا رأيهم على الاستعداد للسفر وسيكون سفرهم صباح الخميس القادم في قطار خاص يقلهم مع عيالهم مــن محطــة الحجاز[١٠] الى حيفا والى السويس حيث يجتمعون بالجنــرال نوري باشا السعيد ويبحرون معه الى (البصرة) ويقــال ان في الشام اليوم اكثر من مائة عائلة عراقية متأهبة لمغادرة البــلاد السورية الى وطنها الاصلي وقد علمت ان الكولونيل ايســتون

---

٨ ـ قائد حامية حلب ايام الحكم الفيصلي ، وجنــرال تعنــي «فريق» •

٩ ـ المقصود حكومة «عبدالرحمن النقيب» •

١٠ ـ محطة القطار في دمشق •

معتمد بريطانية الى الشام مهتم كل الاهتمام بتسهيل جميع المعاملات لسفر الضباط العراقيين وعيالهم .»[١١]

ثم ظهر الخبر التالي :

قـــدوم

قدم الحاضرة حضرة الوطني الكبير الجنرال العراقي نوري باشا السعيد فاستقبله في المحطة[١٢] نخبة من رجال الامة[١٣] .

فالعراق ترحب بحضرته وتتمنى له طيب الاقامة والنجاح والتوفيق .[١٤]

وفي ٢٤ شباط ١٩٢١ ، كتبت «بيل» تقول : «شهد الاسبوع الماضي اول دفعة من عنصر جديد ، لقد شرع ضباط ما بين النهرين الذين كانوا في سوريا بالعودة ، وكان اول من حط الرحال منهم نوري باشا السعيد ، صهر جعفر .[١٥] صحيح أن جعفرا نفسه واحد منهم ، بيد انه رغم طيبته وكونه مفعما بالحماس للافكار السامية ، الا انه يفتقد العزم . انه يأخذ الامور ببساطة وبشكل طبيعي ، وهو بدين الى حد مفرط ، ويتحلى

---

١١ ــ جريدة «العراق» .

١٢ ــ محطة قطار غربي بغداد قرب دور السكك في جانب الرصافة

١٣ ــ لا ندري ان كان «طالب النقيب» بينهم وان كان يساورنا الشك في ذلك اذ انه على معرفة بما يجري في الخفاء بالتأكيد .

١٤ ــ جريدة العراق ، ٢١ شباط ١٩٢١ .

١٥ ــ كان «نوري» متزوجا من «نعيمة» شقيقة «جعفر» الذي اقترن «بفخريه» شقيقة الاول .

بابتسامه عريضه ، ويستجيب في الحال لمشاعر الصداقة والعطف، ويمنحك ثقته فورا • وان المرء ليتساءل عما اذا كان بمقـــدور شخص في مثل صفاته العقلية والبدنية ان يتمسك بمعتقداتــــه السياسية •

انه لم يفلح في احكام السيطرة على المتطرفين الشبان[١٦] في بغداد واقناعهم بنزاهتنا ، رغم ايمانه بها • اما صهره نوري فانه يختلف عنه كلية ، ففي اللحظة التي وقعت عيناي فيها عليه ، وهو النحيل البنية والصغير الجرم ، بوجهه البارز وعينيه الرماديتـــين اللتين تنفتحان اثناء استغراقه في الكلام ، ادركت ان امامنا قـــوة مطواعة اما ان نكسب تعاونها او نشتبك معها في صراع صعب ـ واحراز النصر فيه بعيد جدا •»

وبلهجة تنم عن الحذر في البداية ، وبتشجيع وحث مـــن جير ترود ، شرع نوري بتلخيص برنامجه بحضور جعفر باشـا ، والكابتن كلايتون والميجر موري[١٧] ثم نوقشت النقاط التـــي طرحها بالتفصيل ، فعبرت جير ترود عن رأيها بأن اختيار حاكم يأتي في المقدمة من حيث الاهمية ، ثم سألوه : «وما خيارك ؟»

مضت رسالة جير ترود : «تردد ، وقال بانه لايريد التعبـير عن رأي خشية اثارة القوى المعارضة (اشـارة خفيـة الى سـيد طالب) واضاف بانه يرى ترك الامر الى الجمعية • قلت : انـــك

---

١٦ ـ انصار «فيصل» •

١٧ ـ من زملاء «بيل» في دار الاعتماد •

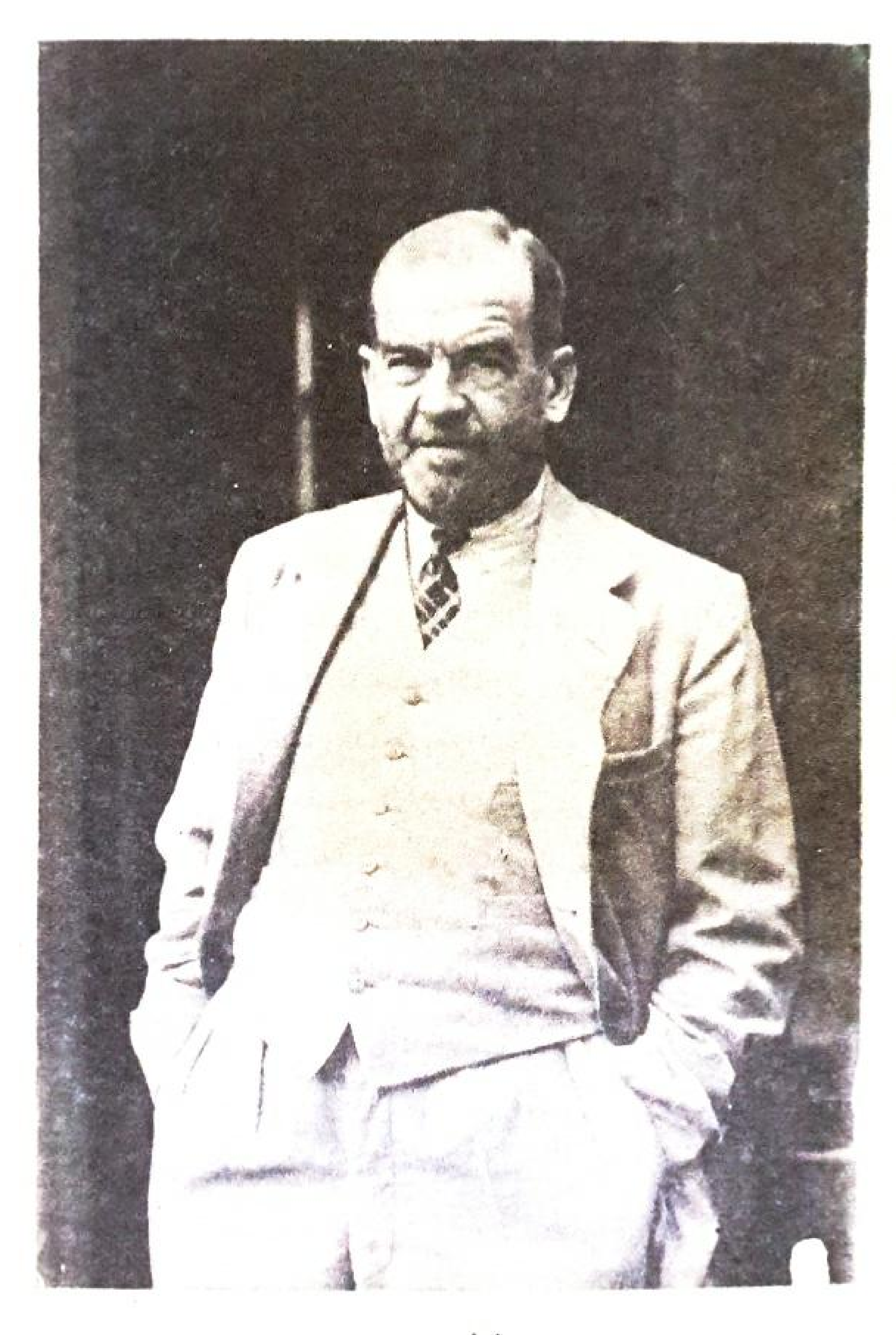
تعرف بما فيه الكفاية انه بقدر تعلق الامر بنا ، فأنت وأنا اللذين سيقرران تركيب الجمعية .انا على استعداد لاطلاعك على رأيي ـ اعطني رأيك .. ومن ثم ، وبنفس الحذر الى حد ما ، قال بأنه ما من احد غير فيصل يمكن ان يصبح حاكما للعراق . اخبرته بأنه سيواجه .قدرا كبيرا من الشك ـ المشاعر الموالية لتركيا والاتجاهات نحو امير تركي في ظل الانتداب البريطاني ، وفوق كل شيء ، فهناك عدم توفر الثقة في حكومة عربية حتى ولو كانت تحت الانتداب البريطاني . سألني عن رأيي في افضل طريق للتغلب على هذه المصاعب ، فاجبت بان الطريقة الوحيدة هي المضي قدما واقامة حكومة عربية برئاسة امير عربي . اما بشأن الامير ، فيجب ان يكون واحدا من انجال الشريف في اعتقادي ، وبعد ذلك بعثنا به الى السير بيرسي الذي تحدث معه بصراحة وعدم مواربة ، مؤكدا له أن رغبته الوحيدة تتلخص في ايجاد حكومة مستقرة ، ولكن ما لم ينعقد مؤتمر القاهرة ، فانه لن يوافق على أي مشروع محدد ، ثم التمس من نوري عدم الالحاح في دعاية معينة حتى عودته من القاهرة ، وبالنسبة لهذه النقطة ، فقد وافق نوري في الحال وتعهد ، اضافة لذلك ، بضمان الابقاء على هدوء حزب العرب الشبان[١٨] وادخال الطمأنينة[١٩] في قلوب الرجال الذين قد يعودون من سوريا اثناء غيابنا ، لـذا ينبغي وقف مجمل النشاط السياسي ..»[٢٠]

---

١٨ ـ تعبير اخر عن انصار الشريف .

١٩ ـ بشأن نوايا «كوكس» .

٢٠ ـ Gertrude Bell, pp. 209 — 210.



فيلبي

والذي يبدو لنا ان المقابلة هذه قد تمت في ٢٢ شباط ١٩٢١ ذلك ان «كوكس» غادر بغداد مساء نفس اليوم وبصحبته كل من «جعفر» و «ساسون افندي» وزير المالية ، وعدد من المستشارين كما تقرر تعيين «نوري» وكيلا لوزير الدفاع .

ولم يكن الخطر المحدق بعيدا عن تفكير «طالب» الذي اصدر ما يلي بتاريخ ٢٤ شباط اي في غياب المندوب السامي :

منشــور رسـمي

وافانا المنشور الاتي من صاحب الدولة وزير الداخلية :

الى عموم اهالي العراق

لما كان موقف امتنا في الاحوال الحاضرة يدعو كلا منـــا الى بذل اقصى جهده في الاتحاد والتعاون بين جميع طبقات الاهلين ليحصل من ذلك حسن التفاهم مع الحكومة العربية(٢١) التـــي ما برحت تسهر على مصالح البلاد وتسعى الى تكوين ادارة حديثة لقطر العراق تكفل لابنائه الرقي في ظلال السعادة والسلام ولما كان العامل الرئيسي في تأييد وسائل هذا الرقي اســـتتباب الامـــن والسهر على عدم حصول اي اضطراب أو قلاقل تؤدي الى عكس المطلوب من خير البلاد ، وتقف حاجزا دون اكمال المقاصد المنوي اجراؤها لصالح هذا الوطن العزيز ، فعليه يجب على جميـــع الاهالي على اختلاف طبقاتهم اجتناب كل ما من شأنه عرقلة هذه المساعي .

---

٢١ ـ وزارة «عبدالرحمن النقيب» .

وليعلم الجميع ان من يخالف هذا ويؤسس جمعيات خفية او يعقد اجتماعات سرية او يقوم ببث افكار غايتها تشويش الاذهان او غير ذلك مما ينجم عنه المضار يجازى بالعقاب الصارم القانوني .[٢٢]

على ان من اراد فتح نواد ادبية شريفة الغرض ان يقدم طلبه الى الحكومة مع تبيان منهاج تلك النوادي ، والحكومة لا تمانع اذا كانت تؤدي لفائدة الوطن في الحال والاستقبال .

وزير الداخلية
طالب[٢٣]

واستمر الصراع الخفي ـ العلني ، كما نرى من الخبر التالي :

قدوم الضباط العراقيين

وصل بغداد صباح أول من امس في القطار من البصرة الضباط العراقيون الذين كانوا في سورية ، وقد صحب البعض منهم أسرهم التي كانت هناك ، فنحن نرحب بحضراتهم ونرجو لهم طيب الاقامة في حضن الوادي .[٢٤]

وهنا لم ير «النقيب» البصري بدا من الحركة :

سفر دولة وزير الداخلة

٢٢ ـ تهديد صريح لدعاة «فيصل» وان كان لم يشهد التنفيذ كما سنرى .

٢٣ ـ العراق في ٢٤ شباط ، ١٩٢١ .

٢٤ ـ نفس المصدر في ٨ اذار ١٩٢١ . وهذا دعم لا يستهان به لنوري واعوانه .

ما فتىء حضرة صاحب الدولة وزير الداخلية السيد طالب من يوم تبوأ هذا المنصب السامي يسعى في توطيد دعائم السلم في البلاد ، ساهرا على راحة الاهلين حسبما تقتضيه وجائب منصبه • وقد بارح دولته العاصمة امس ٣-٣-١٩٢١ في الساعة الثانية زوالية متوجها الى البصرة لتفقد شؤون الحكومة وكيفية سير النظام في تلك والاطراف ، وسيمر في طريقه على جميع المراكز المهمة ويعود بعد انتهاء عمله الى بغداد •»[٢٥]

اما ما قام به وزير الداخلية في رحلته هذه وردود فعل دار الاعتماد ، ممثلة بالمس بيل ، تجاهها فسترد في رسالة لاحقة للخاتون • ورغم عودته الى بغداد في ٢١ اذار الا ان ذلك لم يردع انصار فيصل •

«ومن ثم جاءت الرسائل البعيدة عن الحذر ، من جعفر باشا الى انصاره في بغداد بأن كل شيء يسير على ما يرام بالنسبة لقضيتهم ، فانتشرت الانباء ، مثل النار الهائلة ، في المدينة وشرع النقيب وسيد طالب في ابداء الشك بانني اعرف اكثر مما اتظاهر به ، وان بونهام كارتر[٢٦] ، وانا كنا على اطلاع على مؤامرة سرية من نوع ما ، وفي تلك الظروف ، قدمت مذكرة الى بونهام كارتر ، استعرضت فيها الاشاعات التي وصلت الى سمعي ،

---

٢٥ ـ العراق في ٩ اذار ، ١٩٢١ •

٢٦ ـ مستشار وزارة العدلية الذي ناب عن «كوكس» اثناء سفره الى القاهرة •

واخبرته صراحة ، انني ملزم بالاستقالة احتجاجا اذا كانت الوعود ، التي كنت الاداة الرئيسة في اعدادها وتوضيحها لجميع من يهمهم الامر بصفتي الرسمية ، ستتعرض الى التبديل في القاهرة .»[٢٧]

وفي غضون ذلك اشتدت الدعوة للشريف عن طريق سلسلة من المقالات والاخبار التي اشرف عليها «نوري» بالتأكيد ، ومن ذلك مقال : «قدوم الضباط العراقين» في جريدة «العراق» بتاريخ ٩ اذار ، و «ابطال العراق» في نفس العدد ، غير ان اخطرها كان المقال الذي نقتطف منه ما يلي :

الضباط العراقيون

لهج الناس كثيرا في هذا الاسبوع ، بالثناء على الضباط العراقين الذين عادوا مؤخرا من سورية ، وقد اقترح البعض اقامة حفلة تكريمية لهم ، تقديرا لما قاموا به من الاعمال الجليلة ، والخدمات الكبرى ،في سبيل رفع شأن العرب والعروبة .

... عندما اعلنت الحرب العمومية[٢٨] التي شمل لهيبها سائر انحاء العالم ، وزج الترك انفسهم في غمارها ، على توهمهم ان الفرصة قد سنحت ، وان يدهم قد اطلقت في رقاب العرب ، الذين اظهروا ميلا الى تنسم الحياة ورغبة في الوصول الى حقهم في الحرية والاستقلال .

---

٢٧ ـ جوانب مثيرة من تاريخ العراق المعاصر ص ١٦٩ ، نقلا عن كتاب "Ahabian Days" تالیف «عبدالله فيلبي» مستشار وزارة الداخلية انذاك ومن انصار «طالب» .

٢٨ ـ العالمية الاولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ .



في مؤتمر القاهرة

في ذلك الوقت الذي لم يدع فيه الترك احدا من العرب ، غنيا كان ام فقيرا ، عزيزا او حقيرا ، الا ومسوه بحياته او ماله ، او اهله أو راحته ، في ذلك الوقت الذي اغرق الترك فيه البلاد بالدم والنار والبغي والجور ، اطل الحسين بن علي من مكة وادار نظره في ما حوله من بلاد العرب ، فلم تقع عيناه الا على الخراب والدمار ، ولم تسمع اذنه سوى حشرجة الصرعى ، وزفرات الثكلى ، وأنات الجياع والمظلومين .

... قال الحسين كلمته وسرعان ما اجابت العترة الصالحة نداء الوالد ، فخرجت الجيوش العربية من مكة ، يقودها اشبال الحسين الى حيث يدعو الواجب .

... لبى الكثيرون من شباب العرب المخلصين الدعوة ، واجابوا الطلب ، وتسارعوا الى بلاد الحجاز ينسلون اليها من كل حدب ، وانضموا الى اخوانهم المرابطين في مختلف جبهاتها .

وكان ممن اجابوا الطلب ، اخواننا الضباط البواسل ، الذين نرحب اليوم بقدومهم ، ونشكر الله على عودتهم سالمين الى اوطانهم .

ان الاعمال التي قام بها فيصل بن الحسين وجيشه العربي من اعظم الاعمال الحربية مشقة واكثرها اهمية ... ولم يتمتع الامير فيصل بمجد الفردية عن اخوانه اصحاب السمو الامراء ، بل انهم جميعا اشتركوا معه في سائر اعماله ، وآزروه بمعاونتهم

وآرائهم وقدموه في سائر المواقف السامية .

وفي اليوم التالي ظهر الخبر الآتي : احدهم[29]

تصريحات الامير فيصل في لندن

قابل (ايتمارين) رئيس كتاب[30] جريدة (دوئر هايوم) العبرية الامير فيصلا ، فصرح الامير بأن الحالة السياسية الحاضرة تضطره الى المحافظة على الحياد التام ، وانه لا يتدخل الان في شؤون فرنسا وبريطانيا العظمى ، على أنه يثق بأن الحلفاء يعترفون بكل ما قام به نحوهم ، وانهم ولا ريب يستشيرونه بخصوص مملكة عربية مستقلة في العراق ، ويراجعون الملك حسين بخصوص ايفاد امير عربي يتعين حاكما في بغداد .»[31]

تراجع «دبلوماسي»

ويتبين من سير الاحداث ان طالبا قد اطلع بعد عودته من جولته في الوية البلاد الجنوبية على مقال «العراق» الاخير اضافة الى ما طرق سمعه من بعض اخبار مؤتمر «القاهـرة» فأراد ان يستعرض عضلاته وذلك عن طريق «جر اذن» صاحب الجريدة كما نرى من المقال التالي الذي سيق بأسلوب دبلوماسي لا يخفي الذعر من سطوة نقيب البصرة :»

---

٢٩ ـ العراق . العدد ٢٣٣ في ١٩ اذار ١٩٢١ . وقد ورد اسم «رفائيل بطي» الصحفي المعروف وصاحب جريدة البلاد فيما بعد ، مكتوبا بخط اليد الى جانب «احدهم» .

٣٠ ـ رئيس محرري الجريدة .

٣١ ـ مجلة «دار السلام» في ٢٠ اذار ١٩٢١ ، وواضح ان «فيصلا» قد اصبح الان على علم تام بما جرى في القاهـرة

كلمة ايضاح بل كلمات

عجبنا من فريق من حضرات قرائنا الكرام اذ فسروا معنى امضاء (احدهم) في الاقتراح المنشور في العدد الـ ٢٤٤ من جريدتنا بأنه احد الضباط العراقيين المنوه عنهم ، والحالة ان التعارف بين جميع الكتاب ورجال الاقلام والصحافة ان كلمة (احدهم) اذا جاءت توقيعا تكون بمعنى احد الكتاب او أحد الناس أو احد الادباء •

ثم نرجع الى معنى ذلك الاقتراح فنقول هو رأي ابداه احد الافاضل ليس الا ، ولكل انسان حق ابداء الرأي في امور عامة كهذه ، هذا ولنا كلمة نسوقها بهذه المناسبة دفعا لما علق بأذهان بعضهم(٣٢) فنقول :

نحن ان نوهنا بفضل الضباط العراقيين القادمين من سوريا لا يكون معنى ذلك اننا نبخس فضل الضباط الوطنيين(٣٣) غيرهم ممن لهم الخدمات المشكورة للامة والوطن في الزمن السابق(٣٤) • نقول هذا ولا نزيد عليه راغبين الى القراء الافاضل وجميع من يقفون على احوال الجريدة الا يتسرعوا في الحكم باذا ارتابهم امر فليتفضلوا باعلامنا به ونحن نعدهم باننا نوضحه

---

٣٢ ـ لعل القارىء ادرك من المقصود •

٣٣ ـ من هم ؟

٣٤ ـ لا يوجد مثل هذا الزمن الا كان ذلك اشارة الى العهد العثماني سيما وان ما حدث بعد ذلك كان مطابقا لكل ما قاله •

لهم على قدر الطاقة وليتأكد الجميع انا لم نحرك ولن نحرك قلما الا ورائدنا الوحيد خدمة ابناء الوطن الاعزاء ورفع شأن قطرنا المحبوب وكفى •

صاحب (العراق)[٣٥]

الضربة لمن ؟

بعد هذا ، حلت فترة صمت وترقب مشوبة بالقلق من جانب جميع الاطراف ، فكان لابد من حسم الامور بشكل او بآخر ، على ان المفتاح كان بيد «كوكس» و «بيل» • عاد المندوب السامي ومرافقوه من «القاهرة» الى «بغداد» قادمين عن طريق «البصرة» بالقطار مساء ٩ نيسان ، ومن الغريب انه اوعز مسبقا لنائبه في العاصمة بعدم اجراء اي استقبال رسمي في المحطة ، ربما حتى لايرى وجه طالب[٣٦] وان كان البعض قد علموا بذلك فخفوا للترحيب به •

وعلى أية حال ، هناك ثلاثة تقارير عما حدث بعد العودة ، وهي تكاد ان تدخل في اطار اساطير «الف ليلة وليلة» ، اثنان منهما شخصيات والثالث رسمي ، نأتي على ذكرها بالتفصيل .

---

٣٥ ــ العراق في ٢٣ اذار ، ١٩٢١ ، اما صاحب الجريدة فهو «رزوق غنام» •

٣٦ ــ ولا يوجد في الوثائق المتوفرة لدينا ما يشير الى ان «كوكس» او «بيل» قد قابلا أيا من النقيبين بعد ذلك باستثناء ما ورد في البيان الرسمي عن اقالة طالب وابعاده •

تقول «الخاتون» بتاريخ ١٢ نيسان : «اخذ طالب ، الذي اعترته حالة من اليأس لعدم قدرته على توجيه ضربة مناسبة ، بتأييد ترشيح النقيب[٣٧] للامارة على أمل أن يرث ذلك من بعده • لقد قام بجولة واسعة في غضون غيابنا ، واتخذ الترتيبات لاقامة حفلات استقبال عظيمة حينما ذهب ، بينما اشاد بعبارات مغلفة امام مستمعيه بمآثر النقيب • لكنه لم يفلح كثيرا ، فالفرات الاوسط مثقل بالاعياء من الاضطرابات وحركات التأديب ، وقد اصابه القنوط من فشل الثورة • كما ان مقاطعة الحلة ستختار الحكم البريطاني المباشر لو استطاعت • اما في بغداد فقد برزت اعتبارات اخرى ، منها أن الوجهاء ، وهم طبقة محدودة للغاية ، لا يحبذون الفكرة القائلة بأن الرجال الشبان ـ ومعظمهم لا ينحدرون من عائلة عريقة او معروفة ـ والذين هيمنوا على مقادير سوريا في ظل فيصل قد يتحكمون بمقادير العراق • ان افكارهم لا تتفق مع تلك الصادرة عن الرجال الشبان ، الذين يحبذون التقدمية للغاية ، ولا يتورعون عن الحديث باستمرار عن الحاجة الملحة الى التخلص من الشخوص الرجعية القديمة واشعال الضوء الاخضر امام افكار جديدة ـ وعلى هذا فان الوجهاء يقفون الى جانب امكانية تنصيب النقيب ويغلقون عيونهم امام حقيقة ان طالبا قد يحل محله •

---

٣٧ ـ رئيس الوزراء •

وعلى وجه الاجمال ، فان حزب النقيب الذي لم يكن موجودا عند مغادرتنا ، قد حصل على وجود حقيقي جدا في الوقت الراهن • ومع ذلك فان اغلبية الناس ، حتى في بغداد ، تنتظر التلميحات التي ستصدر من جانبنا قبل البوح بما تريد •»

١٧ : قدم ناجي[٣٨] ، ونوري وجعفر الى دائرتي وجلب الاولان معهما الرجل الذي وقع خيارهما عليه لاصدار جريدة لمصلحة حملتهما[٣٩] • ان طالبا لا يريد الموافقة على اصدار اية صحيفة «حتى الى ما بعد الانتخابات» غير انه نظرا الى ان موافقة طالب ليست ضرورية من الناحية القانونية ، فانني مخولة من جانب السير بيرسي باقرار ما يريدان •

«تتدفق البرقيات باستمرار على ملك الحجاز وهي تلتمس منه ايفاد احد انجاله • وقد ضمن السير بيرسي ارسالها باللاسلكي – ذلك ان انصار فيصل لا يجدون الجرأة لاستخدام الطريقة الاعتيادية خشية مبادرة طالب الى وقف الرسائل بذريعة الرقابة • وكل هذا يبرهن كيف ان من المستحيل اجراء «انتخابات حرة» في وقت يهيمن فيه حزب واحد[٤٠] على السلطة العليا وانا مقتنعة بانه سيكون من الضروري الغاء الحكومة العربية حالما يصل فيصل الى الميدان وحتى اجراء الانتخابات •

---

٣٨ – نجل يوسف ، وشقيق توفيق السويدي وقد اصبح رئيسا للوزراء فيما بعد •

٣٩ – من اجل استقدام فيصل •

٤٠ – حزب النقيب •

«ان طالبا يجتاز اسوأ اوضاعه النفسية ـ ليس بقدر تعلق الامر بي ، فنحن في حالة علاقة مستمرة من حيث الظاهر ، غير انه باح بما يدور في صدره اثناء مأدبة غداء اقامها في بيته بالذات في الاسبوع الماضي . كانت تلك تكريما للمستر لاندن ، مراسل صحفة الديلي تلغراف ، وكانت اسرة تود[٤١] هناك ، مع عدد قليل من لانكليز وشخصين عربيين من ذوي الاهمية ، امير ربيعة[٤٢] والشيخ سالم الخيون من الجبايش .[٤٣]

وبعد المأدبة ، وجه طالب الى المستر لاندن خطابا يبدو انه اعد بعناية ، فاعلن أنه على رضا تام عن المندوب السامي وعن سلوك حكومة صاحب الجلالة ، بيد أنه يوجد في حاشية صاحب الفخامة[٤٤] موظفون معروفون بتحيزهم ويمارسون تأثيرا غير مرغوب فيه ـ فهل يشير المستر لاندن عليه ان يرفع شكوى بالامر الى الملك جورج[٤٥] او الى السير بيرسي للتخلص منهم؟ رد المستر لاندن بلهجة تنم عن الذكاء ان هناك بالتأكيد موظفون بريطانيون معروفون بتأيدهم للجانب الاخر ـ فهل يريد طالب ابعادهم ؟ همس السيد حسين افنان[٤٦] الذي كان يقوم بمهمة الترجمة في

---

٤١ ـ تاجر بريطاني مقيم في بغداد .

٤٢ ـ محمد الصهيود ، في منطقة الكوت .

٤٣ ـ في هور «الحمار» جنوبي «سوق الشيوخ» .

٤٤ ـ المندوب السامي .

٤٥ ـ الخامس .

٤٦ ـ سكرتير مجلس الوزراء .

اذن طالب : «خذ حذرك منه .» وبعد عبارات قليلة تنم عن الوعيد ، تجاهل طالب الامر . غير انه مضى الى القول : اذا جرت اية محاولة للتأثير على الانتخابات ، فهنا يوجد امير ربيعة ، ومعه ۳۰٫۰۰۰ بندقية ، وكذلك شيخ الجبايش ورجاله كافة (ملاحظة : يضمر الرجلان الكراهية البالغة لطالب بيد ان انانية الاخير المطلقة تمنعه من التميز بين العدو والصديق .) واستمر في القول : «ان النقيب سيلجأ الى توجيه نداء الى الاسلام، والى الهند ، ومصر والقسطنطينية وباريس .»

كان ذلك تحريضا على التمرد لا يختلف عن اي شيء اخر قاله الناس الذين اثاروا البلاد في العام الماضي ، ولا يختلف عن اعلان الجهاد ، وليس من المستبعد ان طالبا سيدير الحملة الانتخابية بنفس الحرارة التي قد تدفع به الى ما وراء القضبان .»

وفي غضون اقل من خمس دقائق ، برهنت نبوءة جير ترود على صحتها !

تستمر رسالتها : «وفي اثناء انهماكي بالكتابة ، جاء الكابتن كلايتون بنتفة اخبار هائلة ، تم القاء القبض على طالب وارسل الى الفاو ! لقد ثقب السير بيرسي الفقاعة ، اما الدبوس الذي استخدمه في ذلك ، دون اي شك من جانبي ، فقد كان التقرير عن خطاب طالب الذي رفعته صباح امس . يجب اعلامك عن كيفية حدوث الامر . بعد تقديم التقرير لم تقع عيني مطلقا على السير بيرسي وفي الساعة ٤٫٣٠ قدم طالب لاحتساء الشاي مع الليدي كوكس وكان هناك عدد من الاشخاص ، من بينهم الميجر بوفيل ، من

القيادة العامة ، غير انني لم اشأ الحضور لوجود عمل ينبغي على انجازه ، وبعد نصف ساعة نهض طالب مودعا ـ وكان ذلك وداعا بحق ! اذ ان الميجر بوفيل الذي يبدو انه انسل الى الخارج قبله ، قد جابهه قرب الجسر(٤٧) واخبره بلهجة تم عن الاعتذار(٤٨) بأن لديه امر باعتقاله ، ومن ثم نقله الى قارب القائد العام وارسله الى الكوت ومن هناك سيتوجه الى البصرة والفاو . لم يعرف احد شيئا عما حدث .

«كم أنا مفعمة بالحبور لانني رفعت ذلك التقرير المدون بعناية عن الخطاب الذي حصلت على المعلومات الاولى عنه من المستر تود ثم من المستر لاندن . الم اقل لك انه لا يوجد شخص في مثل مقدرة السير بيرسي على معالجة اية مشكلة سياسية حساسة !

«اشعر بزوال عبء ثقيل عن دماغي . كان طالب قادرا على كل شيء ، فقد شرع فعلا في تجميع عصابة القتلة الذين استخدمهم ايام الترك في البصرة . وهناك رجل فاضل معروف جيدا بأنه فتك بجنرال تركي بناء على اوامر طالب (وكانت هذه اكثر الوقائع اثارة في سيرة حياة طالب) . وهي فقرة اضفتها الى تقريري يوم امس لانني اردت تحذير السير بيرسي بأن من المؤكد ان يحاول هذا اغتيال فيصل اذا قدم الاخير الى هنا .»(٤٩) .

٤٧ ـ جسر «مود» من الزوارق انذاك وهو في موقع جسر «الاحرار» الحالي . اما المقيمية القريبة منه حيث ارتشف الباشا الشاي فانها مقر متحف الازياء القديمة في «السنك» بجانب «الرصافة» .

٤٨ ـ كان في منتهى الادب دون شك وربما الحياء !

٤٩ ـ Gertrude Bell, pp. 212 — 214.

فخ محكم

والآن الى تقرير شخصي اخر : «عبر كارتر[٥٠] عن الرأي في ان موقفي معقول وله ما يبرره تماما في تلك الظروف ، رغم انه لا يعرف عن التقدم في محادثات القاهرة اكثر مما اعرف ، وانه سيضع مذكرتي أمام كوكس عند عودته • ولما كان قد اطلع على المذكرة ، فانه اكد لي ان الحكومة البريطانية لا تنوي التراجع عن وعودها لشعب العراق • كانت جير ترود بيل وجعفر اقل تحفظا في احاديثهما عن المؤتمر ، غير أنه نتيجة لتأكيدات وتطمينات كوكس لي ، فقد شعرب بالراحة وكنت قادرا على ابعاد أسوأ المخلوف من لدن سيد طالب والنقيب ، غير ان الاشاعات استمرت في اكتساح المدينةواصبح الموقف اكثر توترا بشكل مطرد •

«وذات يوم في اواخر اذار ، اخبرني سيد طالب بأنه سيقيم مأدبة عشاء ، في منزله تكريما لجميع الممثلين القنصليين والدبلوماسيين في بغداد ورجال الاعمال البارزين من الجالية الاوربية وعدد من الوجهاء المحليين ، وكان من المقرر ان يحضر المأدبة أس • لاندن ، مراسل صحيفة «الديلي تلغراف» ، وقد اقترح علي الانضمام اليه ، فرددت بأن من الافضل الا اقوم بذلك نظرا الى ان الحديث سيكون سياسيا وان حضوري ، باعتباري المسؤول البريطاني الوحيد ، سيؤثر على حريته ، لذلك لم اذهب•

«كان الحديث سياسيا ، وسال النبيذ كالماء بما في ذلك الشمبانيا الفاخرة ، وسيطرت على رب الدار حالة من الابتهاج

---

٥٠ ـ وكيل «كوكس» كما ذكرنا اما الشاهد فهو «فيلبي» •



عبدالرحمن النقيب

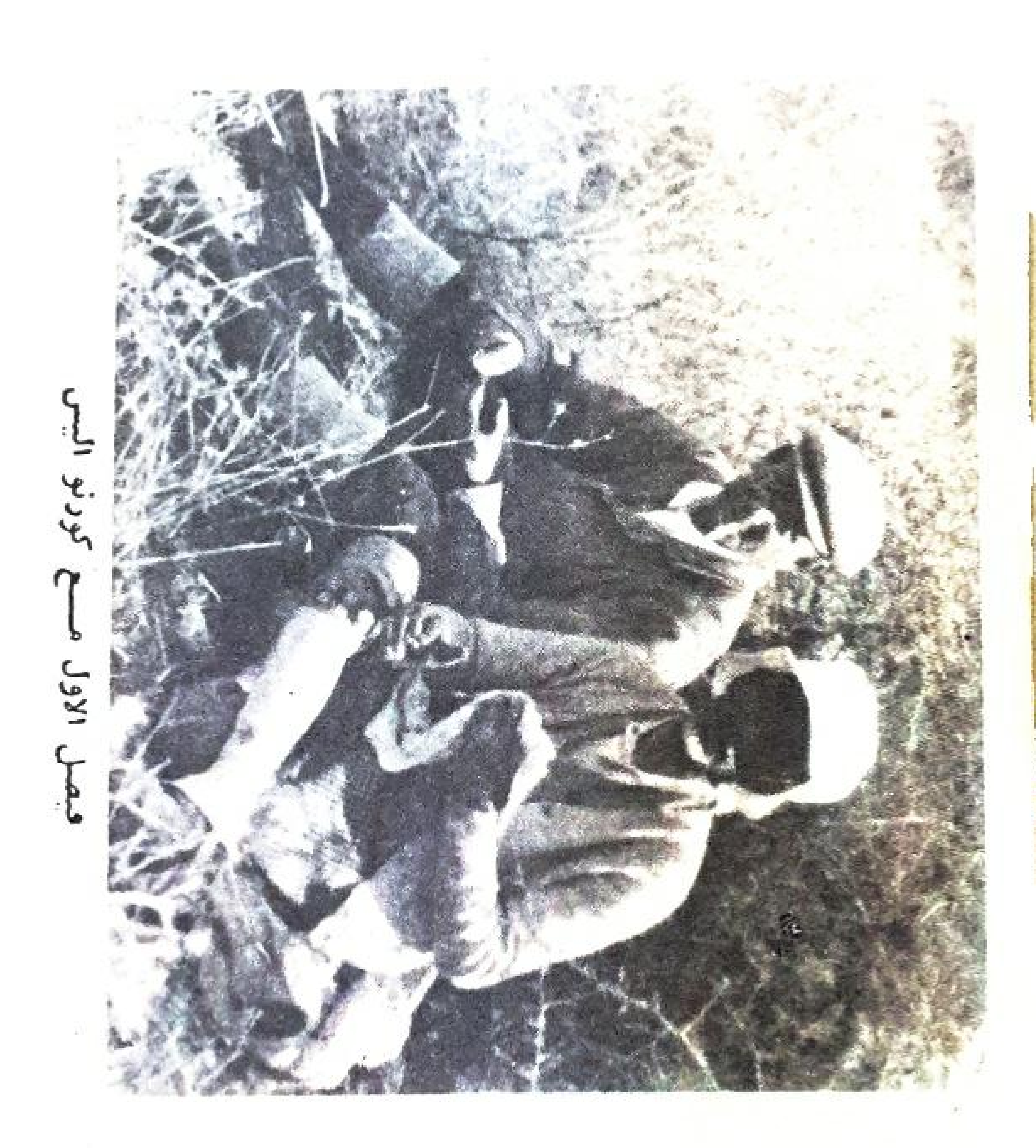
والانطلاق مثل سائر القوم ، وربما اكثر منهم • وفي ختام العشاء ، نهض لينفس عن بعض هموم قلبه السياسية ، اما خلاصة حديثه فهي ان الاشاعات عن تعيين فيصل او ترشيحه ملكا مقبلا على العراق قد راجت على نطاق واسع ، وانه ينوي ان يوضح للحاضرين ، ووكذلك الحكومة البريطانية ، بان شعب العراق لا يريد فيصلا ولا يتحمل فرضه عليه • واضاف قوله : « واذا كان لديكم شك في صدق قولي ، فهذا شيخ محمد من ربيعة ، امير اربعين الفا الشجعان ، وشيخ فلان وفلان من هذه وتلك • لقد وعدتنا الحكومة البريطانية بأن نختار شكل حكومتنا الخاص بحرية ، واني احتج على كل تغيير للوعد •»

«سارع احد ضيوف سيد طالب ، وهو تاجر يدعى تود ، بعد المأدبة الى «مرتع العفة»[٥١] ليعيد على اسماع جير ترود بيل كل ما التقطه في غضونها • وفي اليوم التالي ، نقلت جير ترود تفاصيل النبأ الى كوكس •

«وقبل ذلك بأيام ، كان السيد طالب قد التقى مع الليدي كوكس في احدى الحفلات ، فعاتبته لعدم زيارتها من وقت لآخر • وهكذا وافق على ارتشاف الشاي معها في يوم السبت المقبل ، اي السبت الذي يعقب حفلة العشاء التي اقامها • وفي ذلك النهار ، وحوالي الظهر أمعن الباشا النظر في غرفتي قائلا بانه انجز عمل

---

٥١ ـ تسمية اعتاد المسؤولون البريطانيون اطلاقها على دار «الخاتون» •



فيصل الاول مع كورنواليس

اليوم ومتسائلا عما اذا كانت هناك امور لبحثها مع كوكس ، نظرا الى انه كان من المفترض ان يقابله بعد الظهر عند موعد الشاي ، اخبرته بان لم تكن هناك نقاط هامة تستحق المناقشة ، فانصرف الى حال سبيله •

دانني مقتنع بأن الليدي كوكس كانت طرفا بريئا كلية من المؤامرة التي دبرت بذكاء ، بما في ذلك قطع الخطوط الهاتفية ومنها هاتفي بالذات • كان كوكس قد توجه الى سباق الخيل تاركا رسالة اعتذار لدى الليدي كوكس التي وقفت ، مع جير ترود بل عندما اعلن عن قدوم سيد طالب • واثناء احتساء الشاي ، حضر الميجر بوفيل والكابتن كوكس[٥٢] ، صدفة كما يقال ، واحتسيا الشاي ، ثم استأذنا للانصراف •

«وبعد عشر دقائق ، نهض سيد طالب ، بدوره ورافقته جير ترود بل حتى الباب الامامي للمقيمية وعندما ارتقى سيارته ، انسحبت الى الداخل • ولما شرع السائق بتشغيل المحرك، وجد ان الطريق مسدود بعدد من سيارات الحمل • كان سيد طالب على وشك الاحتجاج على هذا التصرف البعيد عن اللياقة ، عندما ظهر بوفيل والكابتن كوكس من خلف احدى السيارات معتذرين لهذه العرقلة ، ثم طلبا منه ان يعتبر نفسه سجينا لديهما •

---

٥٢ ـ لا تربطه صلة قرابة بالسير «بيرسي» وان كان هناك تطابق في اللقب •

كانا يحملان تعليمات تقضي بالقبض عليه ونقله على الفور الى هدف لم يكشف النقاب عنه[٥٣] • لقد سقط ادهى رجل في جزيـــرة العرب في ابسط الفخاخ ولن يكون هناك اي أمل في الخــلاص منه • وهكذا ذهب بهدوء ••»[٥٤]

اقالة السيد طالب باشا من الحكومة وخروجه من بغداد

جاءنا من ديوان فخامة المندوب السامي :

يرى فخامة المندوب السامي من المناسب ان يوقف الرأي العام على الاسباب التي اقتضت اقالة السيد طالب باشا من الحكومة واخراجه من بغداد •

ان فخامة المندوب السامي قبل مغادرته بغداد صرح مـرارا علانية وفي اثناء محادثاته مع المأمورين والاشراف بأن رغبتـــه ورغبة حكومة جلالة الملك ترمي الى ضمان الحرية التامة للعراقين ليعربوا عن رغائبهم بشأن نوع الحكومة التي يطلبونها والشخص الذي يريدون ان يتولى عليهم •

وعند رجوع فخامته من القاهرة (مصر) اكد تصريحاتـــه هذه لعظمة رئيس مجلس الوزراء وللسيد طالب باشا لما فاتحـــاه بشأن المسألة نفسها •

---

٥٣ ـ في الواقع ، نفي «طالب» الى جزيرة «سيلان» وظل فيهـا عدة سنوات ثم عاد الى العراق وتوفي عام ١٩٢٩ ودفن في «الزبير» قرب «البصرة» •

٥٤ ـ جوانب مثيرة ، ص ١٦٩ ـ ١٧٣ •



طالب النقيب

ولكن في صباح اليوم السادس عشر من الشهر الحالي بلغ سامع فخامة المندوب السامي امر خطاب وجهه السيد طالب باشا الى فريق من الوجهاء في اثناء مأدبة اقامها في اليوم الرابع عشر من الشهر الحالي تكريما لوجيه بريطاني اثناء زيارته بغداد زيارة قصيرة • وبعد ان ألح السيد طالب على ضيفه مستفحصا منه ما اذا كان بامكانه تأكيد تصريحات فخامة المندوب السامي بالنظر الى موقف الحكومة البريطانية في هذا الشأن وبعد ان استفهم عن خير الطرق التي يضمن بها اقالة بعض الموظفين من حاشية فخامة المندوب السامي الذين لم يستحسن خطتهم ، اطرد الكلام بقوله انه هو وابناء بلاده قد عزموا على حمل ذوي الشأن على تنفيذ خطة حكومة جلالة الملك بأمانة حسب التصريحات المذكورة آنفا ، ومن ثم التفت الى امير ربيعة والشيخ سالم آل خيون اللذين كانا في عداد ضيوفه وقال كمن يقترح اقتراحا : انه اذا بدرت اي بادرة عكس ذلك فيجب ان يحسب حسابا للامير والعشرين الف من رجاله المسلحين وللشيخ سالم آل خيون والقبائل التابعة له • وقد تمادى في تهوره حتى قرن اسم عظمة النقيب في هذا التهديد •

ان فخامة المندوب السامي لا يخامره أبدا أقل شك في الموقف الحبي الذي للزعيمين المشار اليهما او في استقامة عظمة النقيب استقامة تامة • ولكن فخامته يرى والحالة هذه اذا ابدى اقل تسامح في أمر التفوه بكلام ينم عن تهديد شائن باشهار السلاح في وجه حكومة جلالة الملك ويصدر عن رجل كالسيد طالب باشا

الذي يشغل منصبا خطيرا فيكون مقصرا في القيام بواجبه نحـو سكان هذه البلاد والحكومة البريطانية •

فبناء على ما تقدم ، وحبا بمصلحة القانون والنظام والحكومة الصالحة رأى فخامته أن من واجبه ان يطالب من القائـد العام ان يتخذ التدابير اللازمة لابعاد السيد طالب حالا ، وقد غادر السـيد طالب بغداد في مساء اليوم السادس عشر من الشهر الجاري•[٥٥]

وهكذا صار المجال فسيحا امام قدوم ـ فيصل ـ مـــن «الحجاز» وتتويجه ملكا على العراق في اب ١٩٢١ •

---

٥٥ ـ جريدة «العراق» في ١٩ نيسان ، ١٩٢١ •

الحكاية السادسة
وقتلوا توفيق الخالدي

في ٢٥ شباط ، ١٩٢٤ ، نشرت جريدة «الاستقلال» لصاحبها «عبدالغفور البدري» احد الضباط السابقين في الثورة الحجازية الخبر التالي :

اغتيال الخالدي

بينما كان معالي توفيق بك الخالدي خارجا من داره في محلة جديد حسن باشا[1] وقت العشاء اذ اطلق عليه شخص طلقة مسدس اصابته في ظهره وطلقتين اخريين اصاباه في صدره

---

١ ـ الحارة المحصورة بين السراي وشارع الرشيد .

والظاهر من التقرير الطبي ان سبب الموت هو جرح الطلقات النارية التي في صدره والتي ضربت الاوعية الدموية المهمة • وهكذا انتهت حياة توفيق بك اذ الرجل لم يزل يتنقل من وظيفة هامة الى عمل اهم • من وظيفة ضابط في الدرك العثماني برتبة رئيس (يوز باشي) ومديرية الدرك (جندرمة) ثم مندوبا عن بغداد في مجلس النواب العثماني وكان المرحوم في ذلك العهد من اقطاب الاتحاديين[٢] وقد حارب في جبهة العراق اثناء الحرب العامة[٣] وعاد بعد الهدنة الى وطنه العراق ودخل في حكومة العراق بوظيفة محافظ بغداد وصار اخيرا وزير للداخلية[٤] فالعدلية[٥] وهو في اثناء ذلك من زعماء الحزب الحر العراقي[٦] وعلى اثر اعتزال الحزب المذكور الظاهر ان معاليه

---

٢ ـ نسبة الى حزب «تركيا الفتاة» الذي تزعمه «انور» و «جمال» و «طلعت» •

٣ ـ العالمية الاولى •

٤ ـ في وزارة «عبدالرحمن النقيب» الثانية التي تالفت في ١٢ ايلول ١٩٢١ بعد تتويج «فيصل» •

٥ ـ في وزارة «النقيب» الثالثة في ٣٠ ايلول ، ١٩٢٢ •

٦ ـ بعد مبادرة «كوكس» الى توجيه ضربة الى «الحزب الوطني العراقي» و «جمعية النهضة العراقية» لاتهامهما بالتطرف في معارضه المعاهدة المقترحة مع بريطانيا واغلاقها وتعطيل صحافتها في ٢٥ اب ، ١٩٢١ اوعزت السلطة الى «محمود» نجل «النقيب» بتاليف حزب «معتدل» ، وبالفعل برز هذا في ٣٠ ايلول ومن ابرز مؤسسيه «الخالدي» و «ناجي شوكت» وقد نال الحزب ثقة السلطة الحاكمة ، اي دار الاعتماد ، وحظي بتأييد المندوب السامي البريطاني •

اعتزل السياسة وبدأ بمباشرة اعماله الى حين وفاته .

ولم نحصل على خبر هام بشأن التحقيقات الجارية في القضية حتى الساعة اكثر مما ذكرنا .

وفي نفس اليوم ، ظهر الخبر التالي في جريدة «العراق» لصاحبها رزوق غنام :



نوري السعيد

فاجعـــة اليمـــة

بينما كان معالي توفيق بك الخالدي[٧] وزير الداخليـــة السابق ذاهبا الى داره مساء اول من امس اذا بيد اثيمة اطلقت عليه اربع عيارات نارية فأردته قتيلا لساعته وقد هرب الجاني حـــالا فأسرعت الشرطة بعد الواقعة ببضع دقائـق ولكن رأت ان الرجل قد قضى وهرب الجاني ، وقد تبين من الكشف الطبي ان العيارات هي من مسدس من نوع البرونيك وان الرصاصات اجتازت مـن الى قلبه حيث توفي حالا .



توفيق الخالدي ـ الوزير المغدور

---

٧ ـ وهو والد «عوني الخالدي» احد موظفي وزارة الخارجيـــة العراقية وأول واخر سكرتير عام لميثاق بغداد الـــذي تأسس في شباط ١٩٥٥ .

وقد رأينا دائرة الشرطة مهتمة جد الاهتمام في التحقيق القضية فأملنا انها لا تترك هذه الجناية الفظيعة تذهب هدرا من غير ان ينال الجناة جزاء ما جنته ايديهم »

وخلافا لرغبة الجريدة ، فقد ذهبت الجناية هدرا ، غير ان الحقيقة لن تظل طي الكتمان .

هناك مصدران تاريخيان عما حدث ، الاول هو «عبدالرزاق الحسني» ، اما الثاني فهي «المس بيل» التي تعطينا اسرارا لم يكشف النقاب عنها قط عن دوافع حقد «فيصل» و «نوري» و «جعفر» على «الخالدي» .

تقول الرواية الاولى بعد نقل الخبر من جريدة العراق :
«وقد حار الناس في تعليل هذا الحادث فقال بعضهم : ان القتيل كان من انصار الجمهورية ، وانه كان يرى رأي النقيب السيد عبدالرحمن في وجوب اسناد الحكم في العراق الى عراقي ، فاتفق الملك مع وزيريه على وجوب التخلص من الخالدي ، فأسر الوزيران[٨] ذلك الى معروفهما شاكر القرغولي فاختبأ هذا في دار عبدالحميد كنه القريبة من دار الخالدي حتى اذا اقترب المغدور منه تبعه القرەغولي ثم اطلق النار عليه فأرداه قتيلا ، وقال البعض الاخر : ان الخالدي كان من دعاة الاتحاديين في دولة العثمانيين

---

٨ ـ وقع الحادث عندما كان «العسكري» رئيسا للوزراء و «نوري» وزيرا للدفاع .

كما كان عضوا في «الحزب الحر العراقي» الذي اشتهر بموالاته للانكليز ، وبالميل الى نظام الحكم الجمهوري ، وان القاتل هو عبد الله محمد سريه يساعده في القتل شاكر القرغـــولي ، وان القوميين العرب ، وعلى رأسهم ياسين الهاشمي قابلوا الاغتيـــال بالغبطة والسرور ، وربما كانوا على علم مسبق به .

«وقد جمعت المعتقلات التي اقامتها الانكليز في العــراق في اعقاب الحركة التحررية التي قامت في ايار سنة ١٩٤١ ، اشتاتا من الناس ، وكان عبدالله سريه ممن قضى مع المؤلف نحو سنتين في معتقل العمارة ، وقد سمع من عبدالله بأنه هو الذي قتــل الخالدي ، وان شاكر القرغولي[٩] كان شريكه في القتل ، وانـه كان عضوا في جمعية سرية هدفها الفتك بمن يشايع الانكليز ، وان الخالدي كان احد هؤلاء المشايعين .

«وعلى كل فقد كان الخالدي شخصية فذة ، وذو كفـــاءة نادرة وكان خصومه السياسيون يخشون بأسه ، ويوجسون خيفة من قرب صيرورته رئيسا للوزراء ، حيث يقضي على طموحهـم ويبدد احلامهم ، وقد يمهد الى قيام حكم جمهوري في العراق ، وكان قد تلقى ، قبل اغتياله رسائل ودية غير موقعة ينصحه فيهـا اصحابها ان يحذر مؤامرة ضده ، وقد اطلع عليها المندوب السامي البريطاني السر هنري دوبس .

---

٩ ـ قتل هذا في قضاء «شهربان» بمحافظة «ديالى» .

«وكان المندوب مدعوا في مزرعته[10] في «الدورة» في يوم الحادثة ، فلما كان المساء اركبه معه في سيارة المندوبية ليظهر للناس احترام الانكليز له ، واذا لم يكن قتله مدعاة للانزعاج الحقيقي لدى الاوساط السياسية العليا ، الامر الذي ادى الى عدم اظهار القاتل ، وكان القتل اول اغتيال سياسي في تاريخ العراق الحديث .»[11]

عدم ثقة

والان الى «المس بيل» . ان اسم «الخالدي» يأتي لاول مرة في رسائل «الخاتون» بتاريخ ٤ ايلول ١٩٢١ ، اي اثناء المداولات لتأليف حكومة «النقيب» الثانية :

«والرجل الواضح للداخلية هو ناجي السويدي ، ولكن على الرغم من كونه ذكيا وحسن النية ، الا انه ليس موضع اعتماد ، وقد اعتقدت في البداية ان السير بيرسي كان على صواب في عدم اختياره ، غير ان صعوبة الحصول على اي بديل سوى وزير صوري قد دفعتني الى تكوين رأي مختلف ، صحيح اننا لن نقوم قادرين على ان نغمض عيوننا اذا كان ناجي في الداخلية ، ولكننا اذا مارسنا الرقابة المتواصلة اننا سنكون قادرين على جعله مستقيما . اخبرت فيصلا بهذا ، ولكنني اضفت انني موظفة عند

---

١٠ ـ مزرعه «الخالدي» .

١١ ـ تاريخ الوزارات العراقية ، الطبعة الرابعة ج١ ص ١٩٢ ـ ١٩٣ .

السير بيرسي ولا استطيع التمسك برأي يختلف عما يراه • سأقابل السير بيرسي هذا الصباح واحاول زحزحته عن موقفه ، وعلى اية حال • فقد قمت بزيارة كورنو اليس[١٢] الذي اقر فكرتي ، غير ان السير بيرسي لم يتزحزح ، واخيرا وقع خيارهم على توفيق الخالدي ، وهو نائب سابق وذكي ورجل حسن الثقافة ، ولكن المشكلة انه مشهور بميوله التركية ولن يحصل مطلقا على ثقة فيصل التامة »[١٣]

تهديد جعفر

وتمضي ان القول في نفس الرسالة : «وعند هذه النقطة تدحرج جعفر الى مكتبي[١٤] ليوضح لي ان تعيين توفيق سيكون قاتلا نظرا الى ان جميع اعضاء الحزب التركي[١٥] سيفتحون عيونهم ويصفون باهتمام شديد وان لديه شعور مؤكد بانه لن يستطيع الحصول على متطوعين[١٦] في ظل هذه الظروف لقد اخبر فيصلا بأنه سيستقيل • ابديت غضبي في وجهه جراء ذالك ، وقلت له بأن عليه يؤدي واجبه في السراء والضراء مثل بقيتنا • حسنا اذن ، هل استطيع القدوم ومقابلة فيصل ، الذي كان يعاني

---

١٢ ـ مستشار وزارة الداخلية وقد قدم مع «فيصل» •

Elizabeth Burgoyne, Gertrude Beil, p. 242.

١٣ ـ

Gertrude Bell, p. 243.

١٤ ـ اشارة طريفة الى بدانته المفرطة •

١٥ ـ انصار تركيا وقد ازداد نشاطهم ذلك الحين •

١٦ ـ للجيش العراقي •

من حالة قنوط ويتحدث عن الذهاب الى انكلترا لوضع الامر بين يدي فلان وعلان ؟ عند هذا الحد ، قفزت في سيارة جعفـــــر ، وتوجهت الى فيصل ، وكان سروري عظيما عندما وجـــدت ان كورنو اليس والكولونيل جويس(١٧) قد سبقانا الى هـــناك ، وقمنا متحدين باخبار فيصل بانه يجب عليه عدم الذهاب الـــى انكلترا الان ، لان البلاد بأسرها ستقول انه تخاصم مع الســير



جعفـر العسكري

---

١٧ ـ المستشار العسكري للحكومة العراقية ٠

بيرسي حول موضوع مجلس الوزراء وانه ذلك سيكون قاتلا بالنسبة لهما معا ، اعتقد اننا اقنعناه ، ولكن لم نحقق تقدما في مسألة الوزارة ..»[18]

مخاوف وكراهية

وتقول في رسالة بتاريخ ١١ ايلول : «لقد عشت في الاسبوع الماضي في حالات العذاب المتعلقة بتأليف الوزارة . لقد انتهت هذه الان ، فقد تم تشكيل وزارة فيصل الاولى . وعلى وجه الاجمال ، نحن نشعر بالرضا الجيد .

«وبشأن تشكيل الوزارة هذا الاسبوع ، فقد ازددت غوصا في اعماق ادمغة اعوان فيصل المخلصين اكثر من اي وقت مضى ، انهم ليسوا كثرة ، واقصد اولئك الوطنيين المتحمسين الذين يزداد تعلقهم الشخصي بفيصل باعتقادهم انه وحده يمتلك المؤهلات التي يمكن عن طريقها ، ايجاد ملك عربي ؟ ملك سيوحد العرب ويأخذ مكانته بين حكام العالم . وبالنسبة لما أرى ، فان جعفرا ونوري هما اشد الامثلة بروزا ، وما يخشيانه هو عودة الترك عن طريق الدسائس لا بواسطة السلاح . وهما يعتقدان بأن أية استدارة للعجلة في تركيا قد تجلب لجنة الاتحاد والترقي الى السلطة ثانية وان هذا قد يوجد اغراء قويا لرجال الاتحاد والترقي السابقين هنا . واذا شغل هؤلاء الاشخاص اعلى المناصب

---

١٨ ـ المصدر السابق ص ٢٤٣ .

في الدولة ، فانهم قد يلحقون ضررا لا يقدر بالقضية العربية • وعلى أية حال ، فمهما كانت درجة مقدرتهم ، فان مجموعة اصدقائي الصغيرة ستعارض تعيينهم في مناصب المسؤولية الكبرى • وهذا هو سبب مقاومتهم لتوفيق الخالدي •»[١٩]

وتقول في رسالة بتاريخ ٢٥ تشرين الثاني ١٩٢٢ : « ان الملك يشعر بالغيرة الشديدة تجاه النقيب والحزب المعتدل الذي كان قد تشكل تحت رعايته ، وهو يريد بأية طريقة التخلص من النقيب وتشويه سمعة الحزب •»[٢٠]

اما عن مشاعر «فيصل» فتقول «بيل»في نفس الرسالة : «ان الملك يضمن له الكراهية وهو يعرف ذلك •»[٢١]

يجب قتله

من هذا التركيز على «الخالدي» بالذات ، يتضح لنا مدى كره القصر واعوانه له باعتباره الخصم الاول لهم وليس «النقيب» العجوز العاجز • ورغم ابعاده عن وزارة «عبدالمحسن السعدون» التي تألفت بعد سقوط وزارة الاخير في تشرين الثاني ١٩٢٣ وعدم التفكير بالطبع ، بمجرد الاتصال به عند تشكيل حكومة «جعفر» في بداية العام التالي والتي ضمت «ياسين» ايضا ، الا انه ظل يمثل الخطر الاكيد عليهم ، ذلك الخطر الذي قد يتحول الى حقيقة في اية لحظة ، فكان لابد من التخلص منه بشكل او بآخر

---

١٩ ـ المصدر السابق ص ٢٤٤ •

٢٠ ـ ص ٣٠٢ •

٢١ ـ ص ٣٠٣ •

احتمال مؤكد

والذي يبدو لنا ان هناك عاملين عجلا في القضاء عليه اضافة لما سبق ، فبعد تأليف وزارة العسكري بأيام ، اشتدت مطالبة تركيا بولاية الموصل الى حد التهديد العسكري ، وتقدم «بيل» صورة لما حدث: «انني اشعر بقدر كبير من الاضطراب تجاه اعمال الاتراك عند حدودنا الشمالية ، انهم يقومون بحشد الجيوش مرة اخرى ويقول جنرالاتهم انهم ينوون ان يكونوا في الموصل في اذار.»[٢٢]

ومن الطبيعي ان هذا الضغط العسكري على العراق كان يمكن ان يؤدي الى حدوث تغير في الوضع السياسي في الداخل غير المستقر من الاساس ، ودور «الخالدي» الاتحادي والمتعاطف مع الترك واضح في هذا المضمار .

والعامل الاخر ان الحزب الحر العراقي ، والخالدي الشخصية المهيمنة فيه ، كان يدعو الى وجوب التعجيل ، من خلال جريدته المفيد ، في اجراء الانتخابات اللازمة للمجلس التأسيسي والى وجوب اشتراك كافة طبقات الشعب في هذه الانتخابات ، ولكنه ما لبث ان قاطعها ودعا الناس الى ذلك بحجة تدخل الحكومة الانكليزية مما اثار سخط وزارة الداخلية وسخط دار الاعتماد البريطانية .

٢٢ـ

Bell, p. 330.

ومن الجائز ان يكون احدا اهداف عملية الاغتيال ادخال الرعب في نفوس اعوان «الخالدي» ودفعهم الى التعاون مع السلطة ، لان مقاطعة الانتخابات والمعاهدة التي ستقرر مجمل مستقبل العلاقات بين بريطانيا والعراق ، موضوعة على الرف ، شكل من اشكال المعارضة وان كانت عمل سلبيا .

ومما يؤيد ذلك أن عددا من هؤلاء الاعضاء البارزين رشحوا انفسهم للانتخابات وبالفعل فاز بالعضوية منهم كل من «محمود النقيب» رئيس الحزب و «فخري الجميل» وان كان الاول قد امتنع عن التصويت الى جانب المعاهدة ليلة عرضها على المجلس في اوائل حزيران ، ١٩٢٤ ، بينما قرر الاخير عدم حضور الجلسة المذكورة .

الحكايـــة الســـابعة

ذات ليلـــة في بغـــداد

هنا لابد لنا من الدخول في تفاصيل اقرار المعاهدة ذاتهـــا والتحدث عن خلفية الاحداث التي وقعت ليلة ١٠/١١ حـــزيران ١٩٤٤ ، فبعد الاعلان عن ملوكية فيصل على العراق ، كان كوكس قد حدد لنفسه هدفين اخرين :

اولا : تنفيذ الألتزامات بموجب الانتداب .

ثانيا : تحقيق الوعود المعطاة للعراقيين بشأن الاستقلال في ظـــل حكومة وطنية طبقا لرغبات الشعب .[١]

---

١ – Review of the Life of Sir Percy Cox, p. 365.

اما الهدف الثاني ، فقد رأينا كيف تحقق جزء منه وظل الباقي ، اي الجمعية التاسيسية والدستور • غير ان اهتمام كوكس تركز على الهدف الاول ؛ كيف يمكن فرض الانتداب دون الاشارة اليه بالاسم مع استمرار التزام بريطانيا به ؟ هنا ابتكر المندوب السامي فكرة المعاهدة التي وصفها السير فيفيل دافيدسون ، المستشار القضائي للحكومة العراقية ابتداء من عام ١٩٢١ بما يلي : «غير ان معاهدة بين – طرفين ساميين متعاقدين – يوافق فيها احد الطرفين بحرية على بعض القيود لحقه في السيادة ، كانت افتراضا مختلفا تماما ويمكن ان تنال القبول دون وصمة – الاستعمار – »(٢) •

تجميع

ان هذا الافتراض بالذات هو الذي دفع الى «لحظة المواجهة الساخنة» بين كوكس والشعب العراقي ، مما برهن على أن روح ثورة العشرين لم تمت كما ان سياسة المعاهدات هذه هي التي ظلت تشعل نار التناقض بين السيطرة البريطانية والروح الوطنية للعراقيين حتى انفجر التناقض بثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، الوريث الشرعي لثورة العشرين باسقاطها النظام الملكي وتحطيمها الاقطاع الذي اوجده الانكليز مكافأة لخونة ثورة العشرين •

كان على كوكس حتى يفرض المعاهدة التي تتضمن صك الانتداب ان ينجز ثلاثة امور :

---

٢ – Gertrude Bell, p. 218.

١ ـ اقرار المعاهدة من جانب وزارة النقيب التي يعود فضل بقائها على الحياة له شخصيا .

٢ ـ تجميع المجلس التأسيسي باسم اجراء الانتخابات .

٣ ـ موافقة المجلس على المعاهدة .

غير سعيدة

قد يتصور القارىء ، على ضوء حقيقة وزارة النقيب ، ان تصديقها على المعاهدة سيكون من قبيل الامور المحتملة ، غير ان المسألة لم تكن كذلك . فرغم تأيد بعض الوزراء للمعاهدة ، وحتى الانتداب ، الا ان المعارضة الشعبية الواسعة النطاق فرضت وجودها داخل المجلس بحيث ان وزيرا مثل جعفر العسكري كان خائفا من اعطاء رأيه الى درجة الهرب الى الموصل عندما وضعت المعاهدة اما مجلس الوزراء في مايس ١٩٢٢[٣] .

وقد بلغ من ثقل المعاهدة ان الانكليز اتهموا الملك فيصل بتحريض المعارضة ضدها وحتى الايعاز لمجلس الوزراء ، او بعض اعضائه بعدم اقرارها الا بعد ادخال تعديلات معينة عليها . وتقول ـ بيل ـ تحادثت مع المستر «كورنواليس»[٤] . اخبرته

---

٣ ـ المصدر السابق ص ٢٦٩ .

٤ ـ كان ـ كور نواليس ـ عضوا في المكتب العربي الذي تألف في القاهرة اثناء الحرب العالمية الاولى وضم ـ لورنس ـ و ـ بيل ـ و ـ كلابتون ـ وغيرهم لادارة عمايلت المخابرات البريطانية في المنطقة .

التي غير سعيدة جدا بشان موقف الملك المتردد ورفضه دحض البيانات الصادرة في الصحف المتطرفة والتأييد الذي يقدمه المتطرفين • اقر رأيي وقال انه سبق له القتال الى جانبه (فيصل) ، وانه يشعر بخيبة أمل مريرة •(٥)

وتقول في مكان آخر : «ان الدراما تتطور • جاء علي السليمان(٦) الى الدائرة صباح الاحد واخبر السير بيرسي وانا بانه اتفق مع الملك على انه اذا جاء رد مناسب من لندن حول مختلف التعديلات المقترحة على نصوص المعاهدة ، فان الملك سيسير في طريقه ويعالج مسألة المتطرفين ••• وقبل انقضاء الصباح سمعنا ان خمسة ممن يطلق عليهم اسم المندوبين(٧) قد ارسلوا ما كلفته ١٥٠٠ روبية من البرقيات الى كل رأس متوج وبرلمان وصحيفة **بارزة في اوربا وامريكا** (وكذلك عصبة الامم) يعلنون فيها انهم لن يتقبلوا الانتداب مطلقا بأي شكل جاء ، غير ان هذه البرقيات احتجزت من قبل الرقيب ••••• سمعنا هذا المساء ان الملك ما زال – يقلب الرأي – مع الوفود حول البرقيات المكدسة في صندوق **متين في دائرتي** •»(٨)

---

٥ –
Gertrude Bell, p. 270 — 71

٦ – من شيوخ عشيرة الدليم •

٧ – تدفقت الوفود من مختلف انحاء العراق للاشتراك في النشاط السياسي ضد المعاهدة •

٨ –
Bell, p. 270 — 71.



في مؤتمر الصلح بباريس / فيصل الاول ونوري السعيد
ورستم حيدر ولورنس وتحسين قدري

وكتبت في اواخر حزيران تقول : «كان سيد حسن افنان ، سكرتير المجلس ، قد زارني توا واخبرني عن المناقشة التي انتهت الى لا شيء • تليت المعاهدة ، فحث عبدالمحسن (العدل)[9] على قبولها • قال توفيق بك (الداخلية)[10] انه يوافق على ان المسألة ملحة غير ان ٩٥ بالمائة من سكان البلاد سيكونون ضد معاهدة تتضمن الانتداب • سأل النقيب – جعفر باشا عما اذا كان جيشه سيقضي على الاضطرابات • رد بانه ما من عربي يقاتل ضد عربي[11] •» وتعترف – بيل بقوة المعارضة للمعاهدة عندما تقول: «••• ولكن هناك حزب معارض يستطيع ان يسبب مشاكل معينة، وربما ثورة ، ما لم نقنع الملك بالسيطرة عليهم •»[12]

كانت المعارضة السياسية نشطة جداً سواء على نطاق الاجتماعات او النشاط الاعلامي ، وبرز من الاحزاب حزبا – النهضة – و – الوطني العراقي – حتى ان كوكس اصبح في غاية الاستعجال لفرض المعاهدة قبل ان تأخذ الامور شكل انفجار خاصة بعد ان اشترك الوف الناس في الاجتماعين الحاشدين اللذين عقدا في جامعي الوزير والحيدرخانة • ولكي نعطي القارىء فكرة عن مدى نشاط المعارضة ضد المعاهدة الانتدابية

٩ – السعدون •

١٠ – الخالدي •

١١ –

Bell, p. 276

١٢ – نفس المصدر السابق ص : ٢٨٩ •

نقتطف بعضا مما ورد في المذكرة التي رفعتها اللجنتان التنفيذيتان لحزبي «النهضة» و «الوطني العراقي» الى الملك فيصل الذي اصبح اتصاله برجال المعارضة مسألة مكشوفة : «فقد بقيت الامة تكابد انواع الاحزان الناتجة عن سوء الادارة المتغلب عليها نفـــوذ البريطانيين المنافي لروح الاستقلال لانهم اتخذوا سياسة التفريق وغيره من الاعمال غير المشروعة التي تحط بالامة ... لذا نطالب بتطبيق المواد التالية :

اولا : الكف عن الاعمال المار عرضها لاسيما التدخل البريطاني في الأمور الادارية .

ثانيا : تأليف وزارة من الاكفاء المخلصين لكي تطمئن الامـــة باصلاح الحالة فيزول الاضطراب وتعم السكينة والراحة في البلاد .

ثالثا : بان لا تعقد اية معاهدة ولا تجري اية مفاوضة قبل تأليـف المجلس التأسيسي الذي ينتخب اعضاؤه بحرية كاملة[١٣] .

ولقد ادى هذا الضغط الشعبي الشديد الى ثلاثة امور ، الاول سقوط وزارة النقيب[١٤] ، والثاني ان الملك وصل الـــى طريق مسدود : فلا هو قادر على الاستجابة للادارة الشعبية ولا

---

١٣ ـ جريدة المفيد ـ البغدادية العدد ١٠ في ٢٣ـ٨ـ١٩٢٢ .

١٤ـ يعتقد حسن افنان ان النقيب عاجز عن اتخاذ قرار ويعاني من شلل عقلي .

Bell, p. 278.

هو راغب في مسايرة الانكليز بشكل مطلق ، والامر الثالث البالغ الاهمية ان بريطانيا ممثلة بدار الاعتماد – وكوكس – بالذات – رأت ان الوقت حان لاخذ زمام المبادرة بين ايديها وبقي إيجاد الذريعة لذلك .

مظاهـــرة

تقول – بيل – : «كان يوم الاربعاء ذكرى اعتلاء العرش في ٢٣ اب ، كان من المقرر ان نصل البلاط الملكي في الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والاربعين ، فعبرت النهر الى دار الاعتماد وقد غطيت صدري بالنياشين . انطلقنا في موكب مؤلف من سيارتين ضم المندوب السامي ومرؤوسيه وعندما وصلنا القصر كانت الباحة غاصة بالناس ، حوالي ثلاثمائة او اربعمائة تحت السلم المؤدي الى مجلس الملك اضافة الى عدد من الاشخاص المتلفعين بأردية بيضاء على الشرفة ويبدو انهم يخاطبون الجمهور . اضطرت الشرطة الى ان تشق طريقا لسيارة المندوب السامي ، وبينما كان يرتقي السلم انطلق صوت بين الحشد بشيء ما لم يسمعه المندوب ولم اتبين انا معناه[١٥] واعقبته موجة من التصفق كما لو كان يصفقون لظهوره (المندوب) . دلفنا الى قاعة الاستقبال وقد غمرنا شعور من

---

١٥ – يقول الاستاذ – سامي خوندة – ان احد الحاضرين وهو – حسون ابو الجبن – هو الذي هتف – لتسقط انكلترا . من تلقاء ذاته فصفق الحاضرون كلهم ، السامع وغير السامع ، وان الهتا فلم يكن مقررا من قبل هيئة او حزب . وقد ساله الاستاذ شخصيا – بعد سنين – وهو معارفه فقال بأنه فعل ذلك بدافع الوطنية ولم يكن عنده قصد اخر . من المقابلة في ٦–٣–١٩٧٥

الدهشة والارتباك . بدا الملك في حالة عصبية الى حد ما بيد ان المقابلة تمت بيسر ، وبعد ربع ساعة اخذنا طريقنا الى الخارج وكانت الباحة خالية :

«وما ان عدنا ادراجنا الى الدار حتى طلب المندوب السامي مني ان اشرع في العمل والتوصل الى حقيقة ما حدث . قمت بذلك فعلا وبعد ساعة حصلت على المعلومات التي نريدها . كانت تلك مظاهرة من جانب الحزبين المتطرفين وانها دبرت ، دون شك ، لتحدث في الوقت المحدد لاستقبال السير بيرسي .

«والان جاء دور السير بيرسي لينغمر في العمل ، لكنه انتظر حتى مر يوم الذكرى . وفي صباح اليوم التالي ، بعث رسالة واستلم الجواب ... وعند الظهر سمعنا ان الملك اصيب بالزائدة الدودية ، وما ان حل المساء حتى ارتفعت درجة حرارته وفي الساعة السادسة من صباح اليوم التالي كان خمسة اطباء ، بريطانيان وثلاثة عرب ، يتناقشون فيما اذا كان من الضروري اجراء عملية عاجلة . وفي الساعة الثامنة قرروا ذلك وانتهت العملية بنجاح في الساعة الحادية عشرة ..»(١٦)

---

١٦ ـ

Gertrude Bell's Letters, pp. 648 — 49.

المواجهة الساخنة !

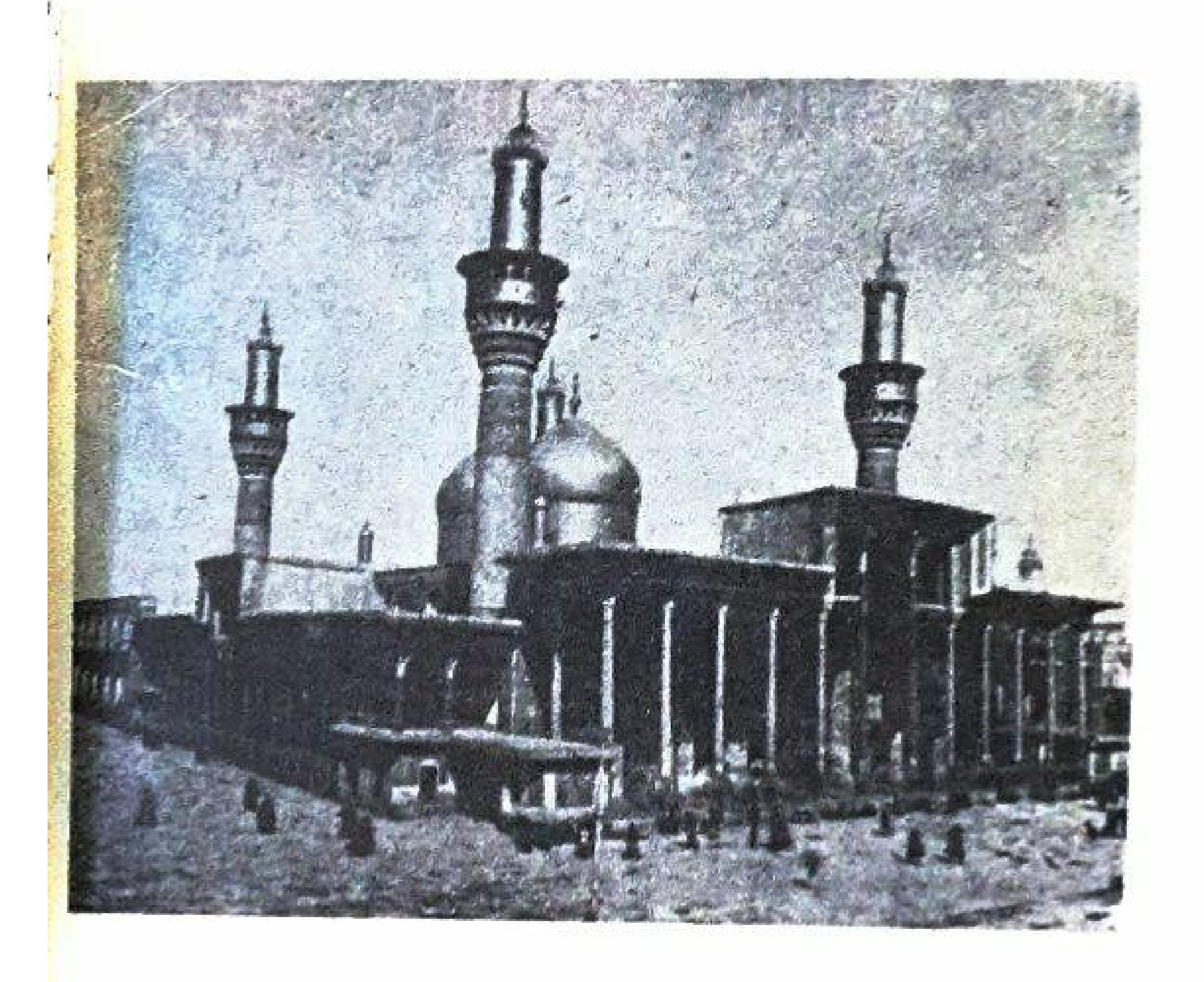
وفي غياب الملك ، الذي تعرض الى عملية جراحية سياسية واستقالة الوزارة ، قرر ـ كوكس ـ أن الوقت قد حان للقيام بانقلاب . لقد حلت «لحظة المواجهة الساخنة» فاستولى المندوب السامي على السلطة باكملها ، واصدر في اليوم التالي للعملية طبعة خاصة من جريدة الاوقات العراقية ، اوضح فيها طبيعة الاجراءات التي لجأ اليها مصحوبة باقسى انواع التهديد والوعيد وامر باقفال ابواب الحزبين ، الوطني والنهضة ، وتعطيل صحيفتي ـ المفيد ـ و ـ الرافدان ـ ونفي صاحبيهما ومجموعة من رجال المعارضة الى جزيرة «هنجام» و «ايران» ، كما قرر ـ كوكس ـ ان «فترة نقاهة فيصل يجب ان تطول حتى ولو «شفي» من آثار العملية ! وبعد ان امتدت هذه الفترة شهرا ، امضى الملك الاسبوع الاخير منه في مزرعته قرب ـ خانقين ـ عاد الى بغداد : «حيث استقبله ـ كوكس ـ و ـ كورنواليس ـ مستشار وزارة الداخلية فطلب منه المندوب السامي ان يقر كل ما قام به في غيابه وان يعطي تعهدات معينة تتعلق بالمستقبل وهذا ما تم فعلا .»(١٧)

وقد بلغ من عنف الحملة الارهابية التي لجأ اليها ـ كوكس ـ ان السلطات البريطانية قامت بقصف شديد من الطائرات للمناطق التي ابدى سكانها نشاطا محسوسا في مقاومة

---

١٧ ـ نفس المصدر ص : ٦٥٨ .

الانتداب والوضع السائد ، كما تم تطويق بغداد بالقوات والسيارات المدرعة تمهيدا للتدخل • وفي ظل هذا الوضع الارهابي الشامل ، وافق الملك على تكليف النقيب بتأليف وزارة جديدة وهذا ما تم في اواخر ايلول ١٩٢٢ •



مسجد الكاظمين

« حريــة » !

وبعد عشرة ايام ، اي ١٠-١٠-٢٢ ، وقع - كــوكس - المعاهدة مع النقيب • اننا نعتبر ما حدث في الاسبوع الاخير من اب ذلك العام الفصل الختامي لثورة العشرين • ترى ما الذي كــان - ولسون -[١٨] سيفعل اكثر من هذه الاجراءات لــو كان في دار الاعتماد بدلا من - كوكس - ؟ الفرق ان الاخير كان مجرد مخلب من فولاذ في قفاز من حرير !

بعد ذلك يمكن بسهولة تصور مدى «الحرية» التي تمتـع بها العراقيون عند «انتخاب» المجلس التأسيــي[١٩] الذي أقـر المعاهدة في جلسة عاصفة امتدت الى منتصف ليلة ١٠/١١ حزيران ١٩٢٤ بعد ان افلح «جعفر العسكري» الذي اصبح رئيسا للوزراء خلفا «للسعدون» في تجميع ٦٩ من اعضاء المجلس البالغ تعدادهم ١٠٠ حيث تمت الموافقة على المعاهدة من جانب ٣٧ عضوا مقابل معارضة ٢٤ وامتناع ٨ عن التصويت •

---

١٨ - نائب الحاكم العام في العراق من اواخر ١٩١٨ حتى ١٩٢٠ والذي قامت ثورة العشرين في عهده •

١٩ - تقول المس بيل بتاريخ ٢٥-١٠-٢٢ : «بدأ تسجيــل الناخبين (الذين سيختارون اعضاء المجلس) يوم امس • وقد ارسلت الاوامر ، بموافقة الملك، من الداخلية الى جميع المستشارين (الانكليز بالطبع) في الاقاليم بأنه يجب عليهم افهام المتصرفين اهمية ضمان تسمية المرشحين مــن ذوي الطريقة المطلوبة في التفكير» هذا وقد جــرت الانتخابات بتاريخ شباط ١٩٢٤ •

انـــذار شـــديد

ولكن ماذا حدث قبل ذلك ؟ حتى ذلك المجلس التأسيسي وجد نفسه عاجزا عن امرار المعاهدة على الرغم من المناورات التي لجأ اليها انصار المعاهدة ، وفي مقدمتهم جعفر ونوري ، والتهديدات الصادرة عن المندوب السامي الجديد «هنري دوبس» للسيطـرة على الامور واقتراح جعفر ونوري اقرار المعاهدة بواسـطة استفتاء[٢٠] ، وهي الاجراءات التي قوبلت بتطويـــق بنايـــة المجلس[٢١] واطلاق النار على «عداي الجريان» و «سلمان البراك» نائبي «الحلة» وهما في طليعة الشيوخ المؤيدين للمعاهدة الذين ارادوا تأليف حزب منهم لهذه الغاية بتشجيع من «بيل» و «كورنـــــو اليـس»[٢٢] .

في النهاية وجه «دوبس» انذارا شديدا فحواه انه «يجب» على المجلس اقرار المعاهدة قبل منتصف ليلة ١٠/١١ حـزيران والا : «فان رفض العراق للمعاهدة ، وهو امر يبـدو الان الا مناص منه ، يجب ان يرفع مع كل الاسف ، الى مجلس العصبة في اجتماعه القادم ... وبعد ذلك التاريخ فان على الحكومـــــة البريطانية ان تسعى الى اساليب اخرى ، غير المعاهدة الوديـــة

---

٢٠ ـ

Bell, p. 244.

٢١ ـ نفس المصدر ص ٢٣٨ .

٢٢ ـ كذلك ص ٢٤٤ .

المشبعة بالكرم للوفاء بالتزاماتها الابتدائية ».(٢٣)

تتحدث «بيل في رسالة لها بتاريخ ١١ حزيران :» كان يوم من اليوم الاخير للوقت المحدد محموما . انعقد المجلس في الساعة التاسعة . عند حوالي الحادية عشرة لم يكونوا قد بدأوا الاجتماع الرسمي . بدأت الجلسة حوالي الساعة الحادية والنصف تقريبا فتقدم احدهم باقتراح يدعو الى استراحة امدها نصف ساعة، وهكذا وصلنا منتصف النهار دون عمل شيء . في الساعة الواحدة قرروا التأجيل حتى اليوم التالي . اتصلت هاتفيا مع كين (كورنو اليس) الذي رد علي «يا الهي !» ثم توجهت لرفع النبأ الى صاحب الفخامة فلم أر شخصا في مثل غضبه. وبينما كنا نتحدث جاء نداء هاتفي من القصر يسأل عما اذا كان بالامكان منحهم مهلة يوم واحد . كلا ، انه لن يوافق على ذلك وسيطلب من الملك حل المجلس عند منتصف الليل اذا لم يجتمع بعد الظهر ، وعلى أية حال ، فانه متوجه الى القصر في الساعة الرابعة ليخبر الملك بذلك .

يجب !

«جاء كين واخبرني بالذي تم عمله . ذهب لرؤية الملك حيث انضم اليه صاحب الفخامة في الساعة الرابعة . اخبر صاحب الفخامة صاحب الجلالة انه يجب على مجلس الوزراء اقرار قانون في الساعة السابعة من صباح اليوم التالي يخول الملك سلطة الحل ، وهذا ما ينبغي عمله ، وحينئذ نكون على استعداد للمضي

---

٢٣ –

Lorgrig, Idaq, 1500 to 1950, p. 150.

قدما في دعم الملك والوزارة لنرى ما الذي تؤدي اليه الامور كان صاحب الجلالة ممتنا للغاية ووافق على كل شيء ، يعتقد كين انه لا يوجد امل كبير ، خاصة وانهم لم يجتمعوا بعد الظهر •

«تناولت طعام العشاء واتصلت هاتفيا مع محسن (السعدون الذي اصبح رئيسا للمجلس التأسيسي) الذي اخبرني انه دعا الى اجتماع في الساعة العاشرة مساء ، وانه وجعفر يبذلان كل جهد للتغلب على عناد النواب • جاء كين بعد الساعة العاشرة والنصف بقليل وسألني عما اذا كنت ارغب في الاتصال بالسكرتير ثانية ، غير انني في الواقع لم اجد فائدة من ذلك نظرا الى اتضاح عدم حصولهم على النصاب القانوني • بحثنا امور المستقبل قليلا ثم توجه الى حال سبيله بينما غرقت في التفكير ـ انتباه ، انتباه ! لقد انتهى الامر عندما دق جرس الهاتف : «اتعرفين ما حدث ؟» قال كين • «لقد اقروا المعاهدة !» من البديهي انك تدرك انني لم اصدق ما سمعت الا بالكاد ، غير ان الجرس دق ثانية ـ هذه المرة كان الكابتن هولت حاملا نفس الامر من السير هنري •

قنبلـة نـوري

«وعند هذا الحد توجهت الى نوم مضطرب • وفي اليوم التالي سمعت الرواية بأسرها من نوري ، ويبدو انه عندما اجتمع المجلس بعد الظهر وقف احد الشيوخ الاشرار خارج الباب وحاول منع النواب من الدخول ووقف ياسين لهاشمي في الداخل وتمكن ، عمليا ، من الحيلولة دون انعقاد النصاب المطلوب • تأجل الاجتماع حتى العاشرة • وفي غضون ذلك جرى تفتيش المدينة بحثا عن

النواب • انطلق قائد البوليس (شقيق جعفر) واحد مرافقي الملك بالسيارات حيث شحنوا النواب الى اماكنهم ••• كان جميع المتطرفين البارزين هناك •

«لم يأخذ الوزراء مقاعدهم بل انتشروا بين المجموعات المؤيدة للمعاهدة لتوفير التشجيع ، بذل محسن كل ما يعرفه من اجل الحيلولة دون الاقرار (ان ما يريده شخصيا هو العودة الى الانتداب) • كان الاتفاق قد تم على وجوب طرح اقتراح الحكومة اولا ، غير أنه في نهاية الامر قدم ياسين باقتراح طالبا التعديلات قبل القبول فتمت الموافقة على ذلك ، قفز نوري على قدميه واشار الى ان هذا يعني الرفض • ظل قلبه متوقفا عندما جرى اخذ الاصوات ، هزم ياسين باغلبية اربعة واربعين صوتا مقابل ٢٤ او ما يقابل هذا الرقم ••• والواقع فان جميع الذين صوتوا ضد ياسين صوتوا الى جانبنا ، غير ان المحنة كانت فظيعة وعندما جرى التصويت الثاني لم نحصل الا على اغلبية احد عشر صوتا ••»

وتختتم ـ الخاتون ـ رسالتها بالقول : «ولم يجد جميع اولئك البؤساء الصغار الذين صوتوا بجانب المعاهدة الجرأة في انفسهم للذهاب الى منازلهم ـ انهم سيقتلون ، لذا زود كل واحد منهم بشرطي او اثنين ، بادر نوري الى حشر الشيخ مظهر بن حاج صكب في سيارته الخاصة ، وفي السيارة قال نوري وهو يسحب قنبلة كان محتفظا بها في جيبه وقال للشيخ : انظر ان هذه القنبلة تكفي لقتل مائتي شخص في الحال ، وكانت تلك الملاحظة ذات

تأثير مهدي، في نفس مظهر ..(٢٤) ومن الواضح ان نوري كان ينوي التهديد باستخدام القنبلة لنسف المجلس بمن فيه في حالة عدم اقرار المعاهدة !

حسن الحظ

ومن المؤسف اننا لم نعثر على مصدر يمتد بروايته ، كشاهد عيان عما جرى في تلك الايام بيد اننا ، لحسن الحظ ، عثرنا على مؤرخ اخبرنا بما يلي :

«وعند ظهر اليوم الخامس من رحلتي بالسيارة من حلب وقعت عيني لاول مرة على واحة بغداد الواسعة ، ومن بين تيجان الوف النخيل لمعت قبة مسجد مذهبة ومئذنة عالية . وعلى كل من جانبي الطريق ، ربضت مقبرة قديمة تحطمت بلاطات اضرحتها ، جرداء مهجورة . كان الغبار الاشهب الدقيق قد استوى فوقها ، وفي نور الظهيرة القاسي كانت تلك الشهبة المغبرة أشبه بحجاب مطرز بالفضة ، فاصل مظلم بين عالم الماضي الميت والحاضر الحي . وفكرت في ذات نفسي ان هكذا يجب ان تكون الحال دائما ، عندما يقترب المرء من مدينة يختلف ماضيها عن حاضرها اختلافا بينا لا يستطيع معه العقل ان يحيط بالفرق ...

ثم غبنا في صميم النخيل ، ميلا بعد ميل من الجذوع الهائلة والسعف الملتوية ، الى ان انقطت فجأة جنائن النخيل عند ضفة دجلة . وكان الاخير ، بخلاف الفرات ، موحلا ، ثقيلا ذا

---

٢٤ —

Bell, pp. 344 — 45 — 46.

خرير • لم يبق من بغداد شيء من روعتها وعظمتها الماضيتين ، ذلك ان غزوات المغول في العصور الوسطى دمرت المدينة تدميرا كاملا بحيث لم يبق فيها ما يذكر بعاصمة هارون الرشيد القديمة ،

كراهيـــة

وكانت آثار الحر الشديد ظاهرة على كل شيء ، فالحركة كانت بطيئة فاترة ، وكان الناس يسيرون ببطء في الشـوارع ، وكانت وجوههم تعلوها الكآبة من تحت كوفياتهم المنقطة بالابيض والاسود ، وكلما وقع نظرك على وجه عربي وسيم يوحي بالانفة والعزة ، فقد كنت ترى دائما ، فوق رأس صاحبه ، كوفيةمنقطة بالابيض والاحمر مما يوحي ان الرجل لم يكن من هنا ، بل من الشمال ، او من الصحراء السورية او من أواسط جزيرة العرب•

ولكن قوة كبرى كانت ظاهرة لدى هؤلاء الرجال : قوة الكراهية ، كراهية الدولة الاجنبية التي تنكر عليهم حريتهم • لقد كان الحنين الى الحرية ، ولا يزال يلازم اهالي بغداد كأنما هو شيء يملك عليهم انفسهم •

عويـــل طفـــل

بعد بضعة اسابيع من وصولي الى بغداد ، وبينما كنـــت امشي في السوق الكبرى[٢٥] ، سمعت صرخة من احدى الممرات المعتمة ، ومن خلف زاوية ما ركض رجل ، ثم تبعه ثان فثالث ، واخذ الناس في السوق يتراكضون كانما استولى عليهم رعـــب عرفوا هم سببه ، لا انا • اصوات حوافر جياد : ورمح فارس على

---

٢٥ ـ شارع الرشيد •

وجهه امارات الذعر بين الجماهير ، وازداد عدد الراكضين وكانوا كلهم قادمين من جهة واحدة يدفعون معهم المشترين في السوق • وبدأ الحشد يتدافع الى الامام ، ووضع أصحاب الدكاكين الالواح الخشبية امام دكاكينهم • لم يتكلم احد ، ولم يناد احد الاخر ، ولم تكن تسمع الا بين الفينة والفينة صرخات الناس وهـم يسقطون وعويل طفل صغير ينبعث من مكان ما •

لماذا حدث ؟ لا جواب ، وجوه شاحبة في كل مـكان • واندفعت الى الزقاق الضيق عربة ثقيلة ، كانت لا تزال نصف محملة بالبالات ، ودونما سائق يوقف جيادها الرامحة • وفي مكان ما عن بعد ، وقعت على الارض وتحطمت كومة من الانية الخزفية واستطعت ان اسمع بوضوح الي الشظايا تدحرج على الارض •



عبد المحسن السعدون

والى جانب هذه الاصوات المنعزلة ووطء اقدام الناس ، كان هناك صمت عميق ، كذلك الصوت الذي يرين احيانا عند بدء الهزة الارضية • لم يكن يسمع سوى الاقدام الراكضة ، واحيانا كانت تنبعث من بين الجماهير الراكضة السائلة صيحة امرأة او زعقة طفل • مرة اخرى بعض الفرسان ، ذعر وهرب وصمت • اضطراب مجنون عن مفارق الطرق المسقوفة •

رصاصة بندقية

واذ علقت بين الحشد عند احد هذه المفارق ، فانني لم اعد استطيع ان اتحرك الى الامام او الى الوراء • والحق أنني لم اعرف الى اين اذهب • وفي تلك اللحظة شعرت بشخص ما يمسك بذراعي : والتفت فاذا هو زيد[٢٦] يسحبني نحو والى خلف حاجز من البراميل بين متجرين •

وهمس في اذني قائلا : «لا تتحرك •»

وأز بالقرب منا شيء ما ، رصاصة بندقية ؟ مستحيل •••

ومن مكان بعيد جدا ، من مكان ما في أعماق السوق ، سمعنا اصواتا كثيرة ، ومن اخرى سمعنا ازيزا وطنينا ، وهذه المرةلم يعد بالامكان الشك : فقد كان صوت رصاصة ••• ومن بعيد ايضا سمعنا صوتا خافتا مجلجلا ، كأنما كان احد الناس ينثر حبات من الحمص اليابس على ارض غرفة قاسية • لقد تقدم الصوت ببطء واخذت تلك الجلجلة المنتظمة تعلو وتتضح : وعندئذ عرفت مصدرها : المدافع الرشاشة •••

---

٢٦ ــ مرافق الكاتب في رحلته •

مرة اخرى ، كما فعلت مرات عديدة في السابق ، هبت بغداد ثائرة . ذلك انه في اليوم السابق ، العاشر من حزيران ١٩٢٤ صدق البرلمان العراقي ، ضد ارادة الشعب على معاهدة صداقة مع بريطانيا العظمى : وها هي ذي الان امة يائسة تحاول ان تدافع عن نفسها ضد صداقة دولة اوربية عظمى ...

وقد عرفت فيما بعد ، ان جميع مداخل الاسواق قد اقفلت من جانب الجنود البريطانيين لقمع التظاهرة ، وان كثيرا من الناس قد قتلوا ذلك اليوم من جراء اطلاق النار في السوق دونما تمييز . ولولا زيد ، اذن لكان من المحتمل ان اركض رأسا باتجاه نيران المدافع الرشاشة .(٢٧)



ياسين الهاشمي

---

٢٧ ــ محمد اسد ، الطريق الى مكة ، ص ٢٤٧ ــ ٢٥٠ .

ملحـــــق

اواخر عام ١٩٢٤ ، قام «جون ستيفنز» مندوب «المجلـــــة الجغرافية الوطنية» الامريكية المعروفة باسم «ناشيونال جايو غرافيك ماغازين» بجولة في مختلف ارجاء «العراق» خـــرج منهـــا بالانطباعات التالية :

«يتدفق نهرا دجلة والفرات عبر السهل القديم حيث ولدت الحضارة التي تثير اهتمام معظم ابناء العالم الغربي ، وبين مجرى النهرين اللذين غيرا حوضيهما اكثر من مرة تمتد البلاد التـــي كانت عاصماتها في – نينوى – و – بابل – من اعاجيب الدنيـــا القديمة .

كنـــوز الماضـــي

«وعلى مقربة من الموقع التقليدي لجنة عدن[1] ، يلتقـــي النهران ليشقا طريقهما في قلب سهل منبسط اخر نحو الخليـج الملتهب حرارة • وفي بعض الاعوام ، وقبل ذلك ، تندفع ميـــاه الفيضان لتغرق الارض وتعيد الى ذاكرة الاجيال ما حدث آبان ملحمة الطوفان •

«وتحت تراب العصور ، توجد مواقع المدن القديمة فاذا ما ازيل هذا التراب ، بدأ التاريخ بالحديث •

«هنا ، استطاع الاساتذة الذين اتسموا بالحصول على نعمة الصبر وباستخدام ادوات تبدو بدائية للغاية ان يسترجعوا كنوز الماضي لتتحدث الينا عن اسرارها • وفوق كل ذلك تمكنوا مـن فك لغز الخط المسماري بحيث اعادوا خيال ذلك المجد الى واقع ملموس •

هـارون الرشـــيد

«وفي هذه الامكنة بالذات ، يحاول الاداريون والجنـــود الجدد[2] اعداد بلاد ما بين النهرين لمجابهة المستقبل الحافـل في ظل امير من مكة[3] وبذلك تولد مملكة العراق من جديد •

«وهنا يهز النوتية المعاصرون اكتافهم وهم يدفعـــون

---

١ ــ القرنـة •

٢ ــ الحكومة الاهلية والجيش الذي تأسس في ٦ كانون الثاني ١٩٢١ •

٣ ــ فيصل الاول •

قفافهم[٤] من ضفة الى اخرى في ـ دجلة ـ تماما كما كـان الانسان يفعل في فجر الزمن ، بينما يعيد الينا مزيج الحمالين تلك الملامح المرسومة على الواح الفخار في ـ اور ـ[٥] حتى قبل ايام ابراهيم[٦] .

ازقـة ملتويـة

« لقد لعب الممثل ـ تومي اتكنز ـ دور ـ هارون الرشيد ـ في ازقة ـ بغداد ـ الملتوية التي يشقها الان شارع جديد بعيد عن الرومانتيكية[٧] ، فاذا اضفنا الى ذلك ان موظفي اللاسلكي يستخدمون برج بابل التقليدي بمثابة محطة انصات ، لبدا كل ذلك في غاية الغرابة بالنسبة لنا نحن الذين ما زلنا مشدودين الى الماضي وتصوراته .

«ان الرسوم المرفقة المأخوذة من صور التقطها ـ اريك كيست بيرك ـ الذي خدم في صفوف القوات الاسترالية في الشرق الادنى اثناء الحرب العالمية تظهر ان هذه الارض الغارقة في القدم ما زالت تتمتع بنفس النكهة التي حدثتنا عنها الرحالة ابتداء من ـ هيرودتس ـ[٨] حتى ـ المس بيل ـ .

٤ ـ جمع «قفة» وهي واسطة نقل وعبور مدورة من الخشب مغطاة بالقار .

٥ ـ جنوبي العراق وعاصمة السومريين .

٦ ـ النبي «ابراهيم» عليه السلام .

٧ ـ شارع الرشيد الحالي الذي شقه الوالي «خليل باشا» عام ١٩١٦ لتسهيل تنقلات الجيوش في بغداد .

٨ ـ المؤرخ الاغريقي الشهير وكان قد زار بلاد ما بين النهرين وكتب عنها .



مقهى بغدادية في العشرينات

زحـــف اللهيـــب

«ان بلاد ما بين النهرين موطن الفجر ، فلا هي يقظى ولا مستسلمة للنعاس ، فسطوح الصيف التي تهجر نهاراً امام زحف لهيب الشمس ، تعود الى الحياة تحت قبة الليل المخملية حيث تبدو السماء نقية الى درجة لا حاجة معها للعجب من تمكن علماء الفلك الكلدانيين من التطلع اليها لمعرفة خفايا الكون بدءا بالمجرة الحليبية حتى الكواكب ذات الالوان المتبدلة .

«لقد تدفقت شتى انواع اغطية الرأس على العراق من الاقطار المجاورة بحيث كنت تستطيع معرفة احدهم في المقهى المكشوفة من طريقة ارتدائه لطربوشه التركي . اما الان ، فان العربي المعتد بنفسه صار قادرا على ان يشق طريقه في الشوارع بكبرياء وقد اعتمر اليشماغ والعقال .

قـــدر هائـــل

«ويتلألأ معدنا النحاس والقصدير من مقارع الابواب الى الصواني المحملة بالمرطبات . اما اسورة النساء ذات الرنين فانها تتناغم بصوت منخفض مع صلصلة الثلج في الاباريق الزجاجية لباعة الشربت .

«ان صدى عملية صنع قدر هائل من النحاس او القصدير يضفي صوته هو الاخر على الضجة . اما الطرقعة الصادرة عن الواح لعبة النرد في المقاهي فانها تشير الى الكسل من جانب احد ابناء الصحراء الذي وقع في شرك مباهج المدينة . ومن حافة

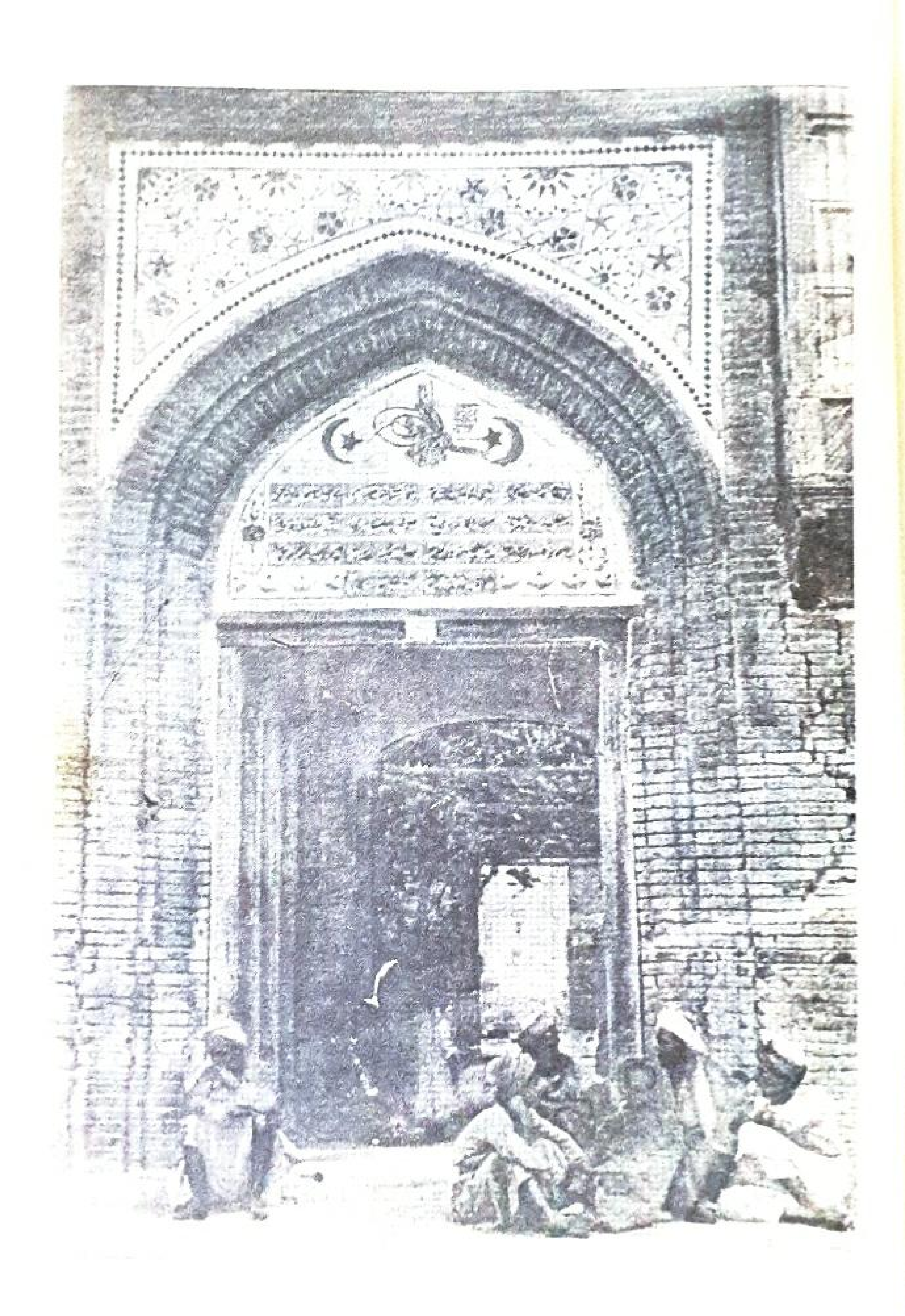
السطوح تتدلى قطع الحرير والزوالي ذات الالوان البراقة بينما يلف الغموض ما يجري خلف النوافذ المشبكة •

«وبالنسبة الى ابناء الغرب ، تأخذ هذه الالوان والاصوات والعطور بالالباب بفضل غرابتها ، اما هنا في الشرق فانها تبـــدو صفة متميزة طبيعية لارض الخلفاء •

الماضــي البعيـــد

«ولكي ترى بلاد ما بين النهرين بوضوح ، فمن الافضـــل ابعاد ستار الرومانسية الذي يبالغ في تعداد مباهجها ، فاذا نظرنـــا اليها في ضوء بعيد عن العاطفة وبموجب المقاييس الغربية فانها لن تكون جميلة ، ولكن عندما يفسح المرء المجال لان تكشف الارض القديمة النقاب عن سحرها ، فان الماضي يتحدث بفصاحة وتصبح الاكواخ المشيدة من الطين الخشن قصورا متسامقة ذات الـــوان باهتة مرتبطة بالماضي البعيد •

«ومن الممكن ان تكون بلاد ما بين النهرين باردة ، فشتاء وادي النيل الصحي لن يكون بهذه القسوة ، ومـع ذلك فـــان الصيف يتصف بحرارة لاهبة تجعل المرء على أدراك انه امكن عن طريق عرق الجبين وحده ان نضجت الحضارة هنا في وجه قوى طبيعية ينبغي على الانسان المعاصر ان يجدد كفاحه ضدها اذا اراد للارض ان تزدهر ثانية مثل الزهرة وتدر من المحاصيل ما يبلــغ ثلاثمائة ضعف كميتها الحالية طبقا لوصف ـ هيرودتس ـ •



الجامع السليماني

ذات يــــوم

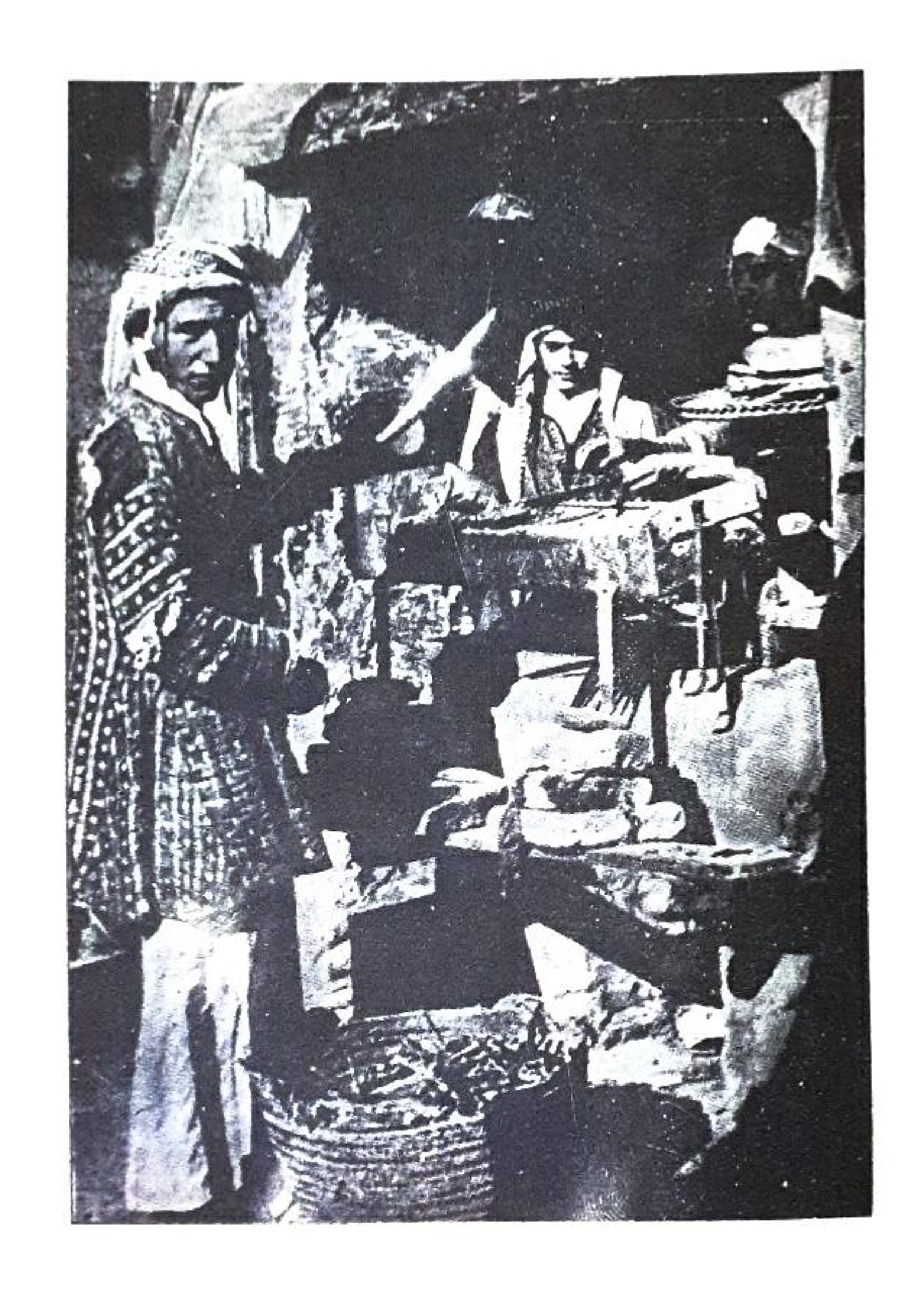
«وعلى مسافة ابعد الى الشمال تقع الهضبة التي تمتد مـن جبال ـ طوروس ـ الى قمة ـ آرارات ـ وهي تتصف بالشـتاء القارس رغم ان السماء الصافية تجعل ساعات الظهيرة بهيجة حتى بجانب البيوت المهجورة • اما في الربيع فتهطل الامطار الدافئـة وتأخذ الثلوج الكثيفة بالذوبان بسرعة لتسد الطرق الجبليـة والمنحدرات التي اختفت من فوقها الغابات منذ امد طويل •

«وذات يوم ، تمت السيطرة بعناء على الفيضانات وجـرى تحويل مياهها الى خزانات حيث تحفظ الى وقت الحاجة ، ولكن حتى مع ذلك تعرضت السهول الى الغرق الى درجة كان لابد معها من تشييد السدود لحماية المدن والحقول من المياه المدمرة • اما الان ، فان القنوات القديمة قد سدت بفعل الطمى وتغطى الاهوار والمستنقعات القديمة الفائدة المزارع التي يمكن للعالم الجائع ان يحولها الى اهراء هائل •

صـــراع مريـــر

«وببطء ، يقوم النهران بنقل مياههما الخابطة الى البحـر ودفع مده الى الوراء ، بيد ان الانسان لم يستطع مسايرة هذا النمو البطيء وتخلف عن استصلاح الاراضي التي برزت الى الوجـود نتيجة لذلك ، ويتطلع المتفائلون الى اليوم الذي سيصبح فيه النهران التوأمان ، بعد السيطرة عليهما ، مصدرا للرفاهية عن طريق انظمة الري والبزل •

«وبفضل الصراع المرير مع موجات الحر والبرد التـي



مطعم في العشرينات

اتسمت بعدم معرفة الرحمة ، لم يتمكن البابليون من ان يحققوا القوة لدولتهم فحسب ، بل واستطاعوا ادراك مشاكل الري في اعالي النهرين • ولهذا سعوا من اجل توسيع نفوذهم نحو الشمال حيث يمكن خزن المياه •

مدن وتلال

«لقد وفر النهران الحياة والسلم مقابل الكدح ، وتدريجيا ، تمكن الانسان من قهر القوى الطبيعية حتى شمخت المدن فوق السهل الطيني الواسع والفيضانات الرهيبة •

«لقد تطورت مدن ـ سومر ـ و ـ اكد ـ و ـ بابل ـ و ـ اشور ـ عن طريق الكفاح وتمكنت من المحافظة على مركزها بفضل اليقظة المتواصلة من جانب مواطنيها ، بيد ان اليوم غير المتوقع جاء عندما فقد هؤلاء تلك السمة بفعل الحروب المتواصلة فيما بينهم ، فانقض الطمى بفعل الفيضانات ليغرق المدن ـ الدول ويدفن بقاياها تحت تلال لا شكل لها •



بغداد عند دخول الانكليز اليها

السندباد البحري

«وعندما يلج المرء ـ شط العرب ـ ويجتاز الاهوار الواقعة شمالي ـ القرنة ـ يدرك ان ـ دجلة ـ و ـ الفرات ـ قد قاما هنا بقذف حمولتيهما من الطمى طوال القرون حتى تراجع الخط الساحلي للخليج مئات الاميال الى الوراء .

«تصل السفن عابرة المحيطات الى ـ البصرة ـ وهي ميناء حديث حافل بالحركة على الشط . وهناك يوجد قصر ـ السندباد البحري ـ نظرا الى ان الاساطير تعيش مدة اطول مما يقيض للبشر . وباستطاعة الزائر ان يلتقط الصور لمشهد لم يتغير منذ ايام حكم الخلفاء ، بيد ان رؤية الاباعر الى جانب السفن البخارية الحديثة تعيد الى الذاكرة ان القرن العشرين قد اصبح حقيقة واقعة وان من المستحيل وقف تقدم الزمن عند حد .

النبيل العربي

«ان بغداد ، بخضرواتها من الرقي وقففها ، والحافلة بالعرب القادمين من الصحراء والنساء المحجبات ، رغم ان حجابهن اخذ يفقد سمكه بشكل مؤسف ، تستحق قصة خاصة بها .

«فهنا ، وهناك ، من بغداد القديمة ذاتها وقعت انظارنا على ابواب ومنائر مزينة بالكاشي والقرميد ، الامر الذي يرمز الى روعة لم تختف كلية . وما ان تغمر الحمرة الافق عند أياب الشمس ، ويحدق المرء من فوق السطوح الطينية المنبسطة للمدينة حتى تبرز امام ناظريه القباب والمنائر الذهبية التي ترتفع فوق جامع الكاظمين .

«وبذلك يدرك المرء لماذا ما زال هذا البلد القديم يحمل اسم العراق ، ولماذا يسير النبيل العربي ، بردائه الصحراوي وكأنه من صنف الملوك . ان بلاد ما بين النهرين التي سيتم انقاذها بفضل مهارة المهندسين والتي ستتمكن من استصلاح اراضيها واستبدال النواعير بالمضخات التي تعمل بالبخار ، ستظل في الشرق باعتبارها بلاد الالوان والاحلام ..»(٩)

-٩

National Geographic Magazine, November, 1924.



عن المؤلف

★ من مواليد محافظة ذي‌قار ـ العراق ـ ١٩٣٥ •

★ حاصل على بكالوريوس لغات اجنبية من جامعة بغداد وعلى شهادتين في تقدير مستوى اللغة من جامعتي لندن وكامبرج •

★ شغل عدة وظائف لدى الدولة •

★ عمل في جميع المجالات الاعلامية في العراق •

★ ينشر في عدد من المجلات والدوريات العربية •

★ صدرت له الكتب التالية :

١ ـ محمود سلمان ... طريق المجد الى ارجوحة الابطال

٢ ـ اسرار عراقية في وثائق انكليزية وعربية والمانية .

٣ ـ جوانب مثيرة من تاريخ العراق الحديث .

٤ ـ صفقة جواسيس في برلين .

٥ ـ صفحات مطوية من تاريخ العراق .

★ سيصدر له قريبا الكتابان التالية :

١ ـ عبدالكريم الخطابي ... محارب دوخ دولتين اوربيتين

٢ ـ قضايا سياسية عراقية قريبة .

الفهـــــرس

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١١١٤ لسنة ١٩٨٣

عـــدد النسخ المطبوعة (٥٠٠٠) نسخة

تاريخ الانتهاء مـن الطبع ١٥-١١-١٩٨٣

هذا الكتاب

سجل دقيق عن فترة من اكثر فصول تاريخ بلادنا الحديث غموضا وهو يتألف من سبع حكايات الهدف من وضعها اظهار ما استتر من خفايا تلك الحقبة • وقد تطلب ذلك من المؤلف المزيد من الانكباب على الدراسة لاماطة اللثام عن ذلك المجهول •

لقد امضى صاحب الكتاب سنوات في جمع المعلومات وتكديس الوثائق والصور وتصنيفها ليرفقها بكتابه شواهد حية على كل ما ذكر • والتاريخ - وخصوصا القريب منه - اذا لم يكن مقرونا بالوثائق والشواهد الصادقة يبقى ناقصا بل مبتورا • وهذا ما تحاشاه المؤلف حين دعم كتابه بوثائق ما زالت عن الكثرة مجهولة او في حكم الضائعة •

السعر ١٫٥٠٠ دينار

شركة التايمس للطبع والنشر - شركة مساهمة
شارع الرشيد - السنك - بغداد هاتف ٨٨٨٨٩٠٢